الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف - ميلة -

معهد الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

المرجع: .....

أسس الإبداع الشعري في كتاب العمدة

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الليسانس في اللغة والأدب العربي
تخصص: أدب عربي

إعداد الطالب(ة):
*- حياة قويدر
*- زينب تواتي

إشراف الأستاذ:
عزوز سطوف

السنة الجامعية: **2015/2014**

﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي
أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ
صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي
عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾
النمل:١٩

شكـــر وتقديـــر

الحمد لله نحمده كبيرا ونشكره كثيرا

الذي أعاننا على انجاز هذا العمل

شكرا لمن علمونا حروفا من ذهب وكلمات من درر

وعبارات من أسمى وأجلى عبارات العلم

إلى أساتذتنا الكرام الذين مهدوا لنا طريق العلم

والمعرفة نشكرهم جزيل الشكر والعرفان

ونخص بالشكر أستاذنا الفاضل

الذي تفضل بالإشراف على هذا البحث

وهد لنا يد العون والمساعدة "عزوز سطوف"

حياة وزينب

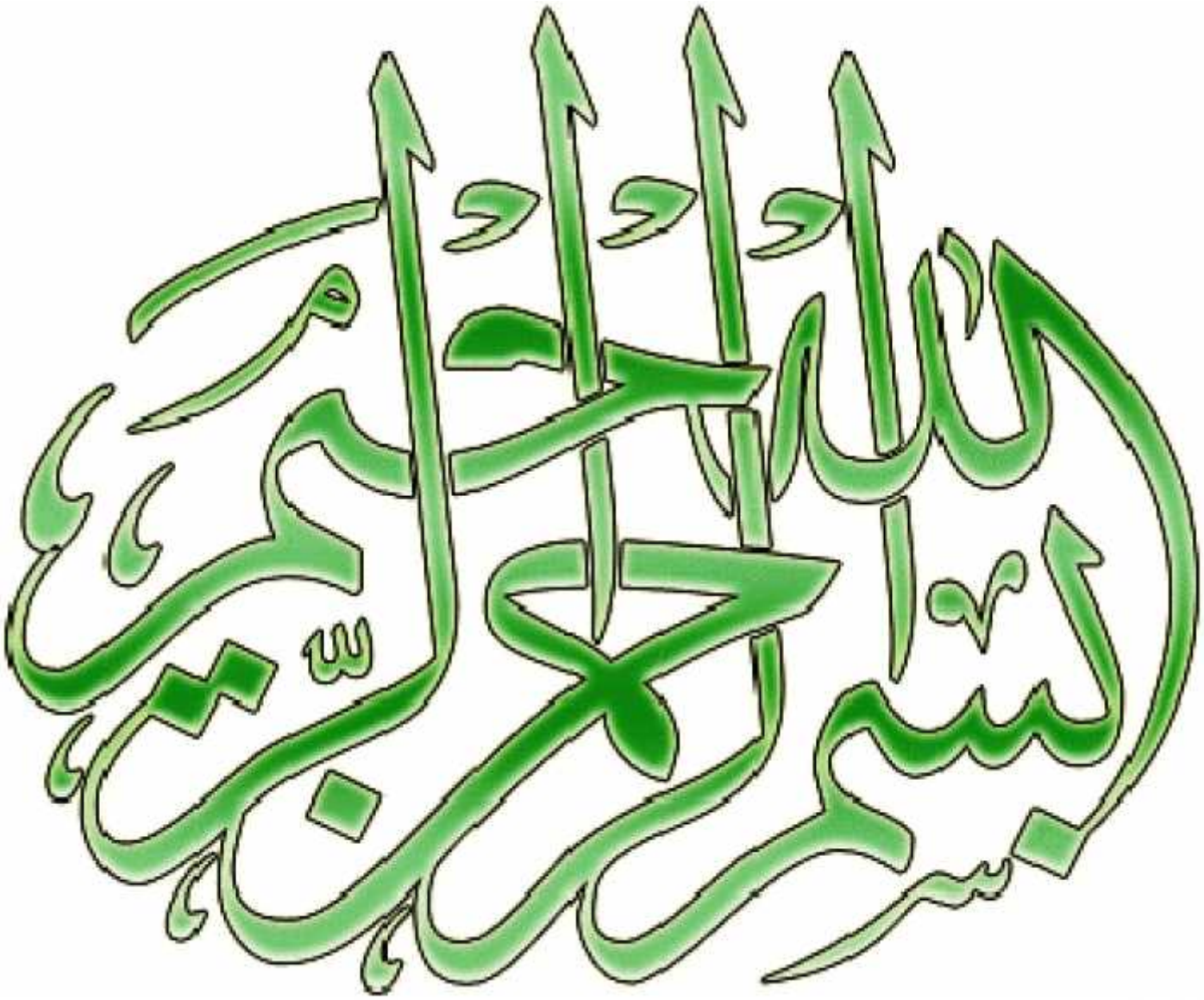
بسم الله الرحمن الرحيم

إهـــداء

الحمد لله فالق الحب والنوى، وخالق العبد وما نوى، والمطلع على باطن الضمير وما حوى

والصلاة والسلام على خير خلق الله محمد المصطفى وعلى آله وصحبه

ومن اتبع هداه بإحسان إلى يوم الدين.

إلى الذي علمني أبجدية الحياة وأشعل منارة علمي،إلى الذي تعب لأجلي وأنار دربي الصعب

وسخر شبابه لأسعد وأرتاح، إلى الذي لن أنسى جميله وفضله ماحييت

"أبي الحبيب رحمه الله وأسكنه فسيح جناته"

وإلى التي لا تحلو الحياة من دونها وتتمنى لي النجاح من كل قلبها، إلى الشمس

التي تتلألأ من نافذة أحلامي، إليك يا أغلى نعمة من الرحمن، إلى التي حملتني بين ذراعيها صبية

وعلمتني كيف أكون تقية، بارك الله فيك وأدامك تاجا فوق رأسي، "أمي الحبيبة"

إلى اللواتي يحبهن قلبي ولا تحلو الحياة من دونهن أخواتي العزيزات

"روفية، مفيدة، وعصفورة بيتنا *هالة*"

إلى من كان لي عونا وسندا وأنار لي دربي بالنصح والإرشاد إخواني الأعزاء

"أحسن وصابر"

إلى صديقاتي: نجاة، نبيلة، سناء، ليلى، مريم، رتيبة، إيمان، زينب، فضيلة وزميلتي

في المذكرة وصديقتي زينب

إلى كل من ساعدني ولو بالكلمة الطيبة *شكرا جزيلا*

حيـــاة

إهداء

إلى من أضاءت لي دربي وملأ حبها قلبي إلى من سارت معي في مشواري الدراسي وساعدتني بكل ما تملك، ووقفت معي وشهدت ضعفي وقوتي، والتي ربتني وعلمتني

"حبيبتي أمي"

إلى أبي: "محمد"

إلى إخوتي الأعزاء: بلال، يعقوب، عبد المؤمن

إلى أختي العزيزة: رقية

إلى من كانت رفيقتي في المذكرة: "صديقتي حياة"

إلى صديقاتي "خولة، فطيمة"

زينب

مقدمة

شهد المغرب العربي في أواخر القرن الثامن للهجرة حركة نقدية واسعة، حيث تنوعت قضايا النقد والبلاغة وتعددت الآراء واختلفت المناهج، فكانت تلقي أحيانا وتفترق أحيانا أخرى، والمتتبع لهذه الآراء يجد بأن النقد المغربي القديم يعد امتداد للآراء النقدية التي كانت سائدة في المشرق، فقد عرف المغرب تطورا ملحوظا في شتى الميادين حيث ظهرت حركة نقدية واسعة قادها نقاد لهم نفاذ بصيرة في الشعر ذوقا ومعرفة، ومن أبرز هؤلاء النقاد:"ابن رشيق القيرواني"فقد ترك رصيدا علميا ومعرفيا كبيرا في مختلف فنون الأدب واللغة والنقد، كما ترك ثروة في الأدب، تتمثل في أشعاره ورسائله الأدبية وله عدة كتب في مقدمتها كتاب العمدة وكتاب قراضة الذهب، وقد انفرد كتابه العمدة بالشهرة والانتشار وقامت عليه مكانة ابن رشيق نفسه لما له من قيمة بين سائر الكتب في المنظومة التراثية النقدية لما يجوبه من إرث أدبي وبلاغي كبير في الإبداع الشعري حيث قدم النقد العربي القديم عبر قرونه المتعددة مفاهيمه المتميزة التي تكشف عن تصوره الخاص لطبيعة الإبداع وأهميته، فقد حظيت عملية الإبداع هذه باهتمام بالغ من طرف النقاد والبلاغيين العرب القدامى، إذ انصبت عنايتهم على كل ما يتعلق به وإن تفاوتوا كل حسب فهمه وتصوره فأفادوا في تكوين تلك المفاهيم من تحليلاتهم للنصوص الشعرية.

غير أن ما جاء به ابن رشيق يعد بحق خطوة رائدة في هذا المجال وذلك من جهة تركيزه على الظواهر الفنية الابداعية وحيثياتها وقد سعى من خلال مؤلفه العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده إلى التنبيه إلى هذه الظواهر منظرا تارة ومطبقا تارة أخرى، مستغلا اطلاعه الواسع ومعارفه الكثيرة وعلى هذا فإن إشكالية بحثنا الموسوم بـ: "أسس الإبداع الشعري في كتاب العمدة لابن رشيق" تتمحور حول أهم الأسس الفطرية والمكتسبة في الإبداع الشعري ومحاولة اضاءتها من خلال ما جاء به كتاب العمدة في الإبداع الشعري وعلى هذا الأساس طرحنا جملة من التساؤلات التي شكلت منطلق هذا البحث من جملتها:

*كيف عرف ابن رشيق الإبداع الشعري؟ وما هي الأسس التي ساعدت على الإبداع الشعري؟ وكيف ينظر ابن رشيق إلى هذه الأسس؟ وما الجديد الذي يمكن أن نستشفه من خلاله؟

وقد اخترنا البحث في هذا الموضوع رغبة منا في معرفة أسس الإبداع الشعري عند ابن رشيق باعتباره ناقدا وشاعرا ومبدعا له شأنه في النقد العربي، معتمدين على كتابه العمدة بجزئيه الأول والثاني بالإضافة إلى مراجع أخرى، وقد حاولنا جاهدين إثراء الموضوع رغم الصعوبات التي واجهتنا في إنجاز هذا البحث ونذكر منها فقر المكتبة للمصادر والمراجع وبالرغم من هذا نرجوا أن نكون قد وفقنا في بلورة معالم هذا البحث استنادا إلى ما تقدم فقد حوى البحث فصلين:

الفصل الأول: فصل نظري ينقسم إلى ثلاث مباحث.

المبحث الأول: تناولنا فيه التعريف بالكتاب يليه تعريف الشعر وتعريف الإبداع.

المبحث الثاني: تحت عنوان الأسس النفيسة للإبداع الشعري وتطرقنا فيه إلى الإلهام والإطار ودورهما في العملية الإبداعية.

المبحث الثالث: تحت عنوان الأسس الاجتماعية للإبداع الشعري وتطرقنا فيه إلى العبقرية.

الفصل الثاني: فصل تطبيقي تناولنا فيه:

مفهوم الإبداع الشعري عند ابن رشيق في مؤلفه العمدة ثم الأسس الفطرية والمكتسبة.

الأسس الفطرية والمتمثلة في: الطبع، البديهة والارتجال، الإدراك الحسي، تخير أوقات وأماكن قول الشعر.

ثم الأسس المكتسبة وتتمثل في: الرواية، الدربة والمران، الثقافة.

وقد اتبعنا المنهج الوصفي التحليلي في هذا البحث.

ختاما نرجو أن تكون دراستنا هذه قد أسهمت ولو بإلقاء بقعة ضوء على جزء يسير من البلاغة والنقد العربيين، مساهمة ما كانت لتخرج إلى النور لو لا فضل الله الذي يسرها، ثم مساعدة الأستاذ المشرف الذي لم يتوان في تقديم توجيهاته القيمة ونسأل الله التوفيق والسداد.

الفصل الأول :أسس الإبداع الشعري

الفصل الأول :أسس الإبداع الشعري

المبحث الأول : التعريف بكتاب العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده .

أ-لمحة عن الكتاب.

ب-آراء بعض النقاد فيه.

ج- مصادر الكتاب.

د- طبعات الكتاب.

المبحث الثاني : الأسس النفسية و الاجتماعية للإبداع الشعري .

أ- تعريف الشعر .

ب- تعريف الإبداع .

I- الأسس النفسية

1- الإلهام .

2- اكتساب الإطار .

II- الأسس الاجتماعية

- العبقرية .

المبحث الأول : تعريف كتاب العمدة في محاسن الشعر و آدابه ونقده

1/- تقديم الكتاب

أ/- لمحة عن الكتاب

كتاب العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده تصنيف أبي علي الحسن ابن رشيق الأزدي المولود عام 390 من الهجرة (999 م) والمتوفى ليلة السبت غرة ذي القعدة من عام 456 من الهجرة (1064م) جمع أحسن ما قاله كل واحد ممن صنف في معاني الشعر ومحاسنه وآدابه، وعول فيه مؤلفه على قريحة نفسه، ونتيجة خاطرة، خوف التكرار ورجاء الاختصار إلا ماتعلق بالخبر وضبطته الرواية، فإنه لم يغير شيئا من لفظه و لا معناه، ليؤتى بالأمر على وجهه [1].

والعمدة هو أشهر تأليف ابن رشيق القيرواني التي تنيف عن ثلاثين كتابا وهو من أبرز الكتب التي ألفت في ميدان النقد العربي القديم قال عنه ابن خلدون «وهو الكتاب الذي انفرد بهذه الصناعة وأعطاها حقها ولم يكتب فيها احد قبله و لا بعده »[2] .

وقد اراد له مؤلفه أن يكون موسوعة في الشعر ومحاسنه ولغته وعلومه ونقده وأغراضه، والبلاغة وفنونها وما لابد للأديب من معرفته من أصول علم الأنساب وأيام العرب وملوكها وخيولها وبلدانها يقول أحمد أمين في كتابه النقد الأدبي «و قد تعرض فيه لعناصر الشعر وفضله ودواعيه، و إن لم يتكلم عن العواطف التي تبعث الشعر وإن لم يسمها عواطف، وذكر المشاهير من الشعراء والمقلين منهم والمولدين والأوزان والقوافي وآداب الشاعر، وأراجيف الشعراء والرواة، وذكر لكل نوع للشعر كالنسيب والهجاء والوصف وذكر شروط جودته... إلخ »[3].

---

[1] -ابن رشيق القيرواني ، العمدة في محاسن الشعر ، وأدابه ونقده تح محمد محي الدين عبد الحميد ، الجزائرط3، 2007م، من المقدمة ص3

[2]- ابن خلدون المقدمة ، دار الوراق العربي ، بيروت ، لبنان ، ط2، 1982م ، ص 574 .

[3]- أحمد امين ، النقد الأدبي ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، الرغاية ، الجزائر،دط، 2007م ، ص 563 .

وقد جاء الكتاب في جزئين، وفيه تسعة وخمسون بابا في فصول الشعر وأبوابه وتسعة وثلاثون بابا في البلاغة وعلومها وتسعة أبواب في فنون شتى .

ب/- آراء بعض النقاد فيه

وقد أعجب به كثير من الباحثين فقد ذكر مصطفى الصاوي الجويني «و يعود في بيئة المغرب تلك الصورة الواضحة لامتزاج النقد مع البلاغة مع غلبة البحث النقدي عند ابن رشيق في كتابه العمدة، وكما كانت البداية بالجاحظ فالنهاية بابن رشيق وأولهما في الجناح الشرقي العربي بينما ابن رشيق في الجناح المغربي العربي»[1].

وقال عنه أيضا الشيخ كامل محمد عويضة: «وفي هذا الكتاب نجد ما رفع من قيمته الفنية والأدبية من حديث النقد و البلاغة و قد وجدنا فيه العلم الرفيع و قد اهتم به العلماء على مر الأيام»[2] ؛ أي أن كتاب العمدة قد لقي اهتماما كبيرا حتى يومنا هذا و يعتبر من أمهات الكتب في الأدب العربي، وذلك لما فيه من حديث عن النقد و البلاغة و الشعر بعبقرية و فنية كبيرة .

وقال عنه أيضا الدكتور عبد العزيز عتيق: "ابن رشيق القيرواني صاحب كتاب العمدة الذي جمع فيه مباحث البلاغة و مباحث النقد الأدبي مع أشياء في تاريخ الأدب العربي"[3] أي أنه اتسم بالشمولية العامة بينما كان النقد قبله متجها إلى قضايا جزئية فلقد جمع ابن رشيق في كتابه كل قضايا الأدب العربي من نقد وشعر و بلاغة بإبداعية كبيرة .

---

[1]- مصطفى الصاوي الجويني، معالم في النقد الأدبي منشأة المعارف الاسكندرية مصر، د ط ، دت ،ص، 8 .

[2]- كامل محمد عويضة، ابن رشيق القيرواني الشاعر البليغ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط 1 ، 1993م ص،46

[3]- عبد العزيز عتيق ، في النقد الأدبي ، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط2 ،1972 ص، 286 .

ج/- مصادر الكتاب

نشأ ابن رشيق في جو مليء بالحوافر والدوافع التي ساهمت في تكوينه الثقافي ودغدغة حسه الإبداعي ونضج روحه المعرفية كل هذا أدى إلى تدفق قرائحه وتولد الإبداع لديه، فهذه البيئات بكل أشكالها وفرت له الجو المناسب للمطالعة والقراءة، وهما من أهم عوامل النبوغ والعبقرية وبخاصة أن ابن رشيق له القدرة على استيعاب جل ما يقرأ، فاستلهم كل ما تلقاه وقرأه لينتج مصنفاته النقدية.

وبيئة القيروان لها الفضل الأكبر على ابن رشيق في تأليف كتاب العمدة، حيث صرح رشيق في أكثر من موضع من عمدته أنه أخذ عن ابن سلام الجمحي ويتضح ذلك في باب حد الشعر وبنيته و في باب المشاهير من الشعراء وباب تنقل الشعر في القبائل[1].

فكتاب العمدة قد رسم معالمه ابن رشيق من معرفته بكتب غيره من النقاد القدامي فلقد اطلع أيضا على مؤلفات الجاحظ وأخذ برأيه في البلاغة، وعن ابن قتيبة (ت270هـ) المجاز واللفظ، وعن عبد الله بن المعتز (ت296هـ) التصدير والإلتفات والتشكيك والتضمين، وعن ابن طباطبا (ت322هـ) موضوعات الشعر، وعن قدامه بن جعفر (ت337هـ) الترصيع والتمثيل والتشبيه والتوشيح والتسهيم والتفسير والإلتفاف والإيغال وفي موضوع الشعر عن علي بن هارون المنجم (ت352هـ) التسهيم، وعن الآمدي (ت371هـ) المبدأ وحسن الخروج والنهاية، وعن الجرجاني الإستعارة والتشبيه والتجنيس والسرقات الشعرية و عن الرماني (ت382هـ) الإيجاز والإستعارة والتشبيه [2].

كما أخد أيضا عن ابن وكيع التنسى (ت393هـ) الاستعارة والتسهيم وعن ابي هلال العسكري (395هـ)المماثلة والمجاورة والترديد والتوشيح والتسهيم والإيغال والتكرار وعن الحاتمي المبدأ وحسن الخروج والنهاية والإستعارة والإستطراد والإيغال والتبليغ والسرقات واللفظ والمعنى وعن أبي منصور الثعالبي (ت429هـ) في اللفظ والمعنى[3].

---

[1] - ابن رشيق القيرواني العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، ص 94-216 .

[2] - بشير خلدون ، الحركة النقدية على أيام ابن رشيق المسيلي ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر ،دط 1981م ص 250 .

[3]- المرجع السابق ، ص 250 .

إن المصادر التي استقى منها ابن رشيق معارفه كثيرة و متنوعة و لكن قراءته لهذه المصادر استندت إلى فعل العقل الواعي والاختيار الحر، فقراءته الإبداعية كانت مؤطرة في نظام عقلي دقيق مصقولا بتجربة ذاتية عالية وبحضور عقلي مميز.

إن كتاب العمدة و إن جاء مشابها لكتب المشارقة كالموازنة والوساطة إلا أنه اعتمد فيه على قريحة نفسه مما جعله متميزا عن كل ما تقدمه من الكتب ويظهر هذا في اعترافه «عولت في أكثره على قريحة نفسي، ونتيجة خاطري خوف التكرار، ورجاء الاختصار ... بعد أن قرنت كل شكل بشكله ورددت كل فرع إلى أصله، وبينت للناشئ المبتدأ أوجه الصواب فيه ...» [1] .

و هو بذلك حريص على جمع وحفظ التراث الشعري في كتابه وفق هذا المنهج الذي صرح به .

وقد ألف ابن رشيق كتابه ما بين سنة 412، 425هـ و أهداه لأبي الحسن ابن أبي الرجال الشيباني مربي المعز بن باديس ورئيس ديوان كتابه الذين كان منهم ابن رشيق.

د/- طبعات الكتاب

أما عن طبعاته فكانت طبعته الأولى بتونس سنة 1865 للدكتور محمد قرقزان وأشار في مقدمتها إلى عثرات ابن رشيق وأخطائه واتبع ذلك بذكر ما لحق طبعاته المختلفة من التصحيفات والتحريفات، خصوصا طبعة محمد محي الدين عبد الحميد المنشورة سنة 1934 م و التي لا تعدو أن تكون طبعة النعساني الحلبي نفسها الصادر في القاهرة سنة 1907م .

و لقد طبع كتابة كاملا مرتين في مصر وطبع نصفه في تونس، وكل هذه الطبعات قليل العناء عديم الجدوى، فإن التصحيف والتحريف ليفشوان فيها، وإن نظام وضعها وتلاحق مباحث الكتاب -مع تشعبها و كثرة فنونها- ليباعد بينك و بين الإفادة منه، وهذه العيوب فاشيه في مطبوعاتنا العربية [2].

---

[1] -ابن رشيق القيرواني ، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ص 17 .

[2] -المرجع السابق ، ص 6 .

أما النسخ الأصلية للكتاب فهي في دار الكتب المصرية بالقاهرة نسختان خطيتان كاملتان من الكتاب أحداهما مكتوبة بقلم النسخ، كتبها محمد بن أحمد الخوجة فرغ من كتابتها عصر يوم الأحد الثاني عشر من شهر ربيع الأخر سنة 1298 من الهجرة والثانية مخطوطة بقلم معتاد بخط السيد أحمد بن محمد بن عبده الديروطي فرغ من كتابتها و مقابلتها في يوم الجمعة الثامن و العشرون من شهر ذي العقدة سنة 1298 من الهجرة و في الخزانة التيمورية نسخة خطية كاملة أقدم من هاتين وأسبق منها تاريخيا كتبت بخط معتاد سنة 993 هـ [1].

و لقد لقي هذا الكتاب منذ ظهوره للناس ذيوعا وإقبالا كثيرا جعل بعض خصوم المؤلف يحقدون عليه وينقصون من قيمته تارة بالتخطئة وأخرى بإدعاء الإنتحال والسرقة حتى اضطر المؤلف إلى أن يبهتهم ويزري عليهم وينال من أعراضهم، ويدعوهم إلى الإتيان بمثله أو بعضه .

[1] –ابن رشيق القيرواني ، العمدة في محاسن الشعر وأدابه ، ونقده ، ص 6 .

المبحث الثاني : الأسس النفسية والاجتماعية للإبداع الشعري

1/- مفهـوم الشعـر

إن الشعر ديوان العرب يسجل مختلف الأحداث بهم، وذلك لقدرته على سبر أغوار اللحظة الحضارية التي يعيشها واستشراف مستقبلها، كما أن الشعر كانت له أهمية كبرى في الثقافة العربية، وهذه الأهمية أثرت بدورها في توجيه مسار الحركة النقدية وجعلتها تركز على فن الشعر الذي يعد من أرقى مستويات التعبير اللغوي والعاطفي وقد وضع أمام الناقد القديم إشكالات متنوعة.

ومن أهم القضايا التي حاول النقاد دراستها قديما وحديثا صياغة مفهوم للشعر و هذه القضية تتصل بالنقد النظري و قد أثير حولها جدل كبير من طرف النقاد والمنظرين لما يفرضه من زوايا نظر متعددة، تتصل بمستواه الجمالي وقيمته التشكيلية والدلالية وكيفيات إنتاجية، لذلك تشكل قضية تأصيل مفهوم للشعر قضية صعبة حيث اختلفت المفاهيم وتباينت من ناقد إلى آخر، حيث تحدث قدامة في أكثر من موضع عن الشعر محاولا تبيان حده ومفهومه ومحللا أركانه لفظا ومعنا ومشيرا إلى طبيعته مادة وشكلا، وقد عرفه في كتابه نقد الشعر : «... أنه قول موزون و مقفى يدل على معنى فقولنا : " قول " دال على أصل الكلام الذي هو بمنزله الجنس للشعر، وقولنا موزون: " يفصله مما ليس بموزون إذا كان من القول موزون و غير موزون، وقولنا: مقفى"فصل بين ماله من الكلام الموزون قواف و بين ما لا قوافي له و لا مقاطع، وقولنا: "يدل على معنى " يفصل ما جرى من القول على قافية ووزن مع دلالته على معنى مما جرى على ذلك من غير دلالة على معنى؛ فإنه لو أراد مريد أن يعمل من ذلك شيئا على هذه الجهة لأمكنه و تعذر

عليه»[1] يتبين من هذا التعريف أن حد الشعر عنده يتألف من اللفظ و المعنى والوزن والقافية.

أما صاحب المعجم الأدبي فعرف الشعر بقوله :«فن يعتمد الصورة و الصوت والجرس و الإيقاع ليوحي احساسات و خواطر وأشياء لا يمكن تركيزها في أفكار واضحة للتعبير عنها في النثر المألوف...» [2].

إن صاحب هذا التعريف يرى بأن الشعر يقوم أساس على الصورة، و مادة الصورة التخييل الذي يعد مقوما آخر من مقومات تحديد ماهية الشعر إذ يشكل جانبا مهما في عملية الإبداع الشعري عند النقاد، ثم بعد الصورة يقوم على الصوت أي الألفاظ و الكلمات الموزونة ذات الجرس و الإيقاع المتناغم الذي يعتبر مظهرا من مظاهر جماليات الشعر.

أما ابن قتيبة فجودة الشعر عنده تتصل بالشعر أكثر من اتصالها بالشاعر، وقد تمخضت عن تأملاته أن الشعر:«أربعة اضرب: شعر حسنت ألفاظه و حسنت معانيه وشعر حسنت ألفاظه وقصرت معانيه، وشعر قصرت ألفاظه و حسنت معانيه وشعر قصرت معانيه وألفاظه، وليس كل من عقد وزنا بقافيه قد قال شعرا ؛ و إنما الشعر عند آخر أبعد من ذلك مراما و أعز انتظاما» [3] .

وهذا التقسيم وسع مجال الحكم على الشعر فالشعر عنده ليس جيد أو رديئا فحسب وإنما يتجلى في ثلاثة مستويات، جيد، ووسط ورديء .

أما ابن رشيق فالشعر عنده لم يكن مجرد ألفاظ موزونة و مقفاة أو أقوال تدل على معنى وإنما الشعر عنده «يقوم بعد النية على أربعة أشياء و هي: اللفظ و الوزن و المعنى و

[1] –قدامة بن جعفر ، نقد الشعر ، تحقيق عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان،د.ط،د.ت ، ص 64 .

[2] -جبور عبد النور ، المعجم الأدبي ، دار العلم الملايين ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1979م ،ص 148 .

[3]- قاسم مومني ، نقد الشعر في القرن الرابع الهجري ، دار الثاقفة للطباعة و النشر ، القاهرة مصر ، د ط ، 1982م ص 184 .

القافية هذا هو حد الشعر؛ لأن من الكلام موزونا و مقفى و ليس بشعر، لعدم القصد و النية كأشياء اتزنت من القرآن و من كلام النبي صلى الله عليه وسلم»[1].

و من خلال هذا التعريف نلاحظ أن ابن رشيق لم يخرج عما قاله السابقون في حد الشعر بأنه يقوم على أربعة أشياء و هي: اللفظ و الوزن و القافية و المعنى، و لكنه أضاف النية و القصد كشرط لتمييز الشعر عن النثر بل ذهب ابعد من ذلك حينما قرر أن «الشعر ما أطرب، وهز النفوس و حرك الطباع فهذا هو باب الشعر الذي وضع له وبنى عليه لا ما سواه »[2].

ومن خلال كلامه نستشف أنه يرى أن الشعر يرتكز على تأثيره في نفوس المتلقين فالشعر لا بد أن يكون نابعا من إحساس صادق متميز عن غيره، ولعل هذا ما جعل العرب يقولون أن ما خرج من القلب لا يجد مكانه إلا في القلب، و ما خرج من اللسان فإن مداه لا يتجاوز الآذان و قد أضاف مصطلح النية بعد ملاحظته لكثير من الآيات الموزونة و لكنها لا تدخل تحت لواء الشعر.

2/ مفهوم الإبداع

أورد ابن منظور في قاموسه لسان العرب المحيط مادة بَدَعَ ما يلي : بدَعَ الشيء يُبْدِعُهُ بَدْعًا وابْتَدَعَهُ: أنشأه وبدأه، و البديع و البَدْعُ : الشيء الذي يكون أولا، وفلان بدع في هذا الأمر، أي أول لم يسبقه أحد ويقال: ما هو مني ببدع و بديع قال الأحوص :

فَخَرَتْ فانْتَمَتْ فَقُلْتُ انْظُرِينِي لَيْسَ جَهْلُ أَتَيْتُهُ ببدِيعِ

و البديع : المحدث العجيب وأبدعت الشيء اخترعته لا عن مثال [3].

أما في أساس البلاغة فقد ورد : "أبدع الشيء و ابتدعه : اخترعه، وسقاه بديع جديد"[1]و يمكن أن نلمس البواكير الأولى لهذا المصطلح عند ابن سلام الجمحي الذي

---

[1]- ابن رشيق القيرواني العمدة في محاسن الشعر و أدابه و نقده ، ج 1 ، ص 119 .

[2] -ابن رشيق القيرواني ، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، ص 128 .

[3] –ابن منظور ، لسان العرب المحيط ، تقديم عبد الله العلايلي ، إعاد بناءه يوسف خياط ، دار الجيل ، دار لسان العرب ، بيروت ، دط ، 1988 (مادة بدع) ص 6 .

يقول عن امرئ القيس: "ما قال ما لم يقولوا و لكنه سبق إلى أشياء ابتدعها استحسنها العرب و اتبعته فيه الشعراء "[2] .

وورود الإبداع الذي يتداخل مفهومة كثيرا بمفاهيم العبقرية والموهبة والابتكار والاختراع في كتب التراث و النقد بمعنى الخلق على غير مثال، والاختراع مع الإجادة كما ورد أيضا بمعنى البديع الذي هو أحد علوم البلاغة، فمصطلح الإبداع يعنى في الأهم إنتاج شيء ما في مجالات الآداب و الفنون و العلوم على أن يكون هذا الشيء جديد في صياغته و إن كانت عناصره موجودة من قبل و يتسم بالطرافة و المرونة و المهارة [3].

و مع تطور العلوم النقدية و البلاغية و تشعب مباحثها، نجد ابن رشيق يعرف الإبداع بصورة أكثر تحديدا بقوله:« الإبداع هو إتيان الشاعر بالمعنى المستظرف الذي لم تجر العادة بمثله، ثم لزمته هذه التسمية حتى قيل له بديع، وأن كثر وتكرر فصار الإختراع للمعنى و الإبداع للفظ، فإذا تم للشاعر أن يأتي بمعنى مخترع في لفظ بديع فقد استولى على الأمد وحاز قصب السبق»[4].

3/- الأسس النفسية للإبداع الشعري

شغل الناس بمصدر الإنتاج الأدبي من قديم و مازال يشغلهم إلى الآن، وقد بدأت العناية بمصدر الشعر من الزمن الذي وجد فيه أو بعده بقليل عندما فكر الشعراء الأولون في مصدر شعرهم فأرجعوه إلى مصادر كثيرة و منها :

أ/- الإلهام

يعرفه معجم المصطلحات العربية بأنه:"حساسية الأديب نحو العالم الذي فيه كما أنه ينبثق من اللاوعي و هو نتيجة مكبوتات انفعالية تظهر على السطح عبر قناة إبداعية

---

[1] -الزمخشري جار الله الساس البلاغة ، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت ، ط1، 1996 م (مادة بدع) ، ص 17 .

[2] -الجمحي محمد بن سلام ، طبقات الشعراء اعداد الجنة العلمية لنشر التراث ، دار النهضة العربية ، بيروت د ط دت ، ص 16 .

[3] -سعيد حسون العنكبي ، الشعر الجاهلي في تأويلاته النفسية و الفنية ، منشورات دار دجلة ، ط1، 2008م ، ص 47 .

[4] - ابن رشيق القيراوني ، العمدة في محاسن الشعر وأدابه و نقده ، ص 265 .

ما"[1]؛ أي أن الإبداع هو نتيجة لمكبوتات انفعالية تنبثق من اللاوعي لتظهر في عمل أدبي ما.

والإلهام الشعري هو "سمو بالذهن و الروح يسبق التأليف الخلاق، يشعر الشاعر أثناءه أنه تلقى عونا من مصدر علوي"[2] ، و هو ما فسره العرب القدامى بوجود قوة خفية تلهم الشاعر ما يقول فاعتقدوا أن مصدر الشعر لدى الشاعر هو الشيطان، حيث كانت هناك رؤى تموج في أعماق الشاعر القديم و تتجسد في لحظات الإبداع فيمثل له شيطانا شعريا و يبتدئ في التفاعل مع ذلك المرثي الموهوم حتى يصل به الأمل إلى الإيحاء إلى نفسه بأن ذلك الشيطان قد تلبسه، مما يحدث اضطرابا بيولوجيا يؤثر على أعصابه و يشتد التأزم في الموقف مع التدفقات الكيميائية في عقله و جسده، وتستمر هذه الحالة النفسية و العقلية و الجسدية حتى يستفرغ الشاعر كل نداءاته الداخلية ... و هنا يكون قد اقترب من حالة إذ يعترى الشاعر ما يشبه الغيبوبة، و ينتقل فيها إلى ما وراء الواقع و يخرج بواسطتها عن المحيط المادي ليتعامل مباشرة مع انبثاقات ضوئية ترتسم في علقه و تعبر أمام عينة متخذة شكل شريط من الأفكار و الصور و المفردات التي تتكيف على يديه لتصبح قصيدة من القصائد الخالدة[3].

إن هذه الحقائق جميعها لتثبت أنه ما إن تسيطر على الشاعر فكرة ما، حتى ينفعل بها فتنفتح أمام عينة رؤية يتحسسها، ويشغف بها فيبدأ يهمهم بالمفردات الموقعة موسيقيا سواء أكانت ذات معنى أم لم تكن، حتى ينظم له القول فتأخذ القصيدة مجراها عنده، وإذا كان العمل قد بدأ على هذا النحو لا شعوريا، فإنه يصبح شعوريا عند السير في العمل الشعري[4] .

و لم ينكر الشعراء ذلك بل تفاخروا بذلك و سجلوه في أشعارهم من ذلك قول:

---

[1] –سعيد علوش ، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة عرض و تقديم و ترجمة ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، لبنان،د.ط 1985م،ص39 .

[2] –إبراهيم فتحي ، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة ، التعاصدية العمالية للطباعة و النشر تونس،د.ط ، 1986 م ، ص 46 .

[3]- فضل بن عمار العميري ، الإبداع في الشعر العربي القديم ، كلية الآداب ، جامعة الملك سعود الرياض ، المملكة العربية ،د.ط، 1416هـ ،ص4

[4]– المرجع السابق ، ص 5 .

مالك بن أمية : إنّي وإن كنت صغير السن وكان في العين نبو مني
فإن شيطاني أمير الجن يذهب بي الشعر كل فن[1]

و يقول غنيمي هلال أنه لم يكن يقصد بالشياطين سوى الروح الملهمة فكان الشيطان هو الجني، أي الروح المستترة .

ووصف دي لاكروا الإلهام أيضا بأنه صدمة كالانفعال، و قال إن حال الملهم في لحظة الإلهام كحال من يجذب انتباهه فجأة، عندئذ يختل الاتزان لديه و يمضي نحو اتزان جديد و ينقطع سير العمليات الذهنية و يدخل في الميدان شيء جديد و طبيعي أن توجد عندئذ حال وجدانية قد تكون عنيفة حتى لتبلغ الحماسة و ينساب في الذهن سيل فجائي من الأفكار و الصور[2]؛ أي أن الشاعر في لحظة الإلهام يُفقد الاتزان لديه وتنقطع عنه العمليات الذهنية كالتفكير و التخيل ليدخل في حالة جديدة من الحماسة ليتزود ذهنه بعد ذلك بمجموعة من الأفكار والصور يوظفها بعد ذلك في قصائد و أشعار متنوعة .

وقال فيليكس كلاي يصف هذه اللحظة أيضا:« إننا نطلق كلمة الإلهام على لحظات الإبداع الفجائية، و هي لحظات تنتابنا مصحوبة بأزمات انفعالية، و تبدو بعيدة عن العمليات العادية للعقل و الشعور بعيدة عن حكم الإرادة و سيطرتها، تأتي غير متوقعة و مجيئها غير مرهون بدعا كالنوم و الأحلام »[3] .

وقال بولدوين معرفا إياه: « إنه إشراق الذهن أو التنبه الذي ينظر إليه كأنما هو آت مما وراء الطبيعة »[4] .

إن حالة الإلهام هذه هي الحالة التي يمر بها الفنانون جميعا، و هو ما عبر عنه موزارت بأنه يعجز عن وصفه، إنه يقع في حلم سار و جميل، و هو ما جرى مع فاغنر في افتتاحيته "RHEINGOLD" و هو شبه نائم halfaslcep، و هذه حالة معروفة عند الشعراء، عرضت لورزدورت في ملحمتها و ذكر ييتس في مقاله " symbolism of poedry"أنه ذات يوم بينما هو ينشئ قصيدته الرمزية سقط منه القلم فأضاعت منه

[1]– محمد غنيمي هلال النقد الأدبي الحديث ، دار العودة ، بيروت ، لبنان ، ط1، 1982 م ، ص 54 .
[2]– مصطفى سويف ، الاسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة ، دار المعارف القاهرة ، ط4 ، ص 190 .
[3]– المرجع السابق ، ص 190 ، 191 .
[4]– المرجع نفسه ، ص 191 .

لحظات اليقظة ذكرياته ولم يسترجعها إلا بعد جهد جهيد، و تحدث عنها شيلي في قصيدته "mont blanc" و قد اعترف بلياك بأنه كتب قصيدته milton تحت تأثير إملاء خارجي .

وهكذا قال غوته إنه ينظم قصائده على الرغم منه، فقال إنها تصنعني و لا أصنعها إنها تملكني، و بالمثل قال ألفريد دي موسيه: "إن المرء ليفترض فيه أن يصغي، لا أن ينشئ، و كأن إنسانا آخر يهمس في أذنيه"[1].

ويساوي هذا التسليم للإلهام ذلك الوعي الذاتي بالعملية الشعرية، فكلتا المجموعتين تدعي أن الفن يقف إلى جانبها، و ذلك أن الحلم ليس تعطيلا للقوى الذهنية و استرسالا مع الرغبات، و إنما هو تركيز و استحضار ثم شد واع نحو الموضوع، بحيث تتسلسل الأقوال و الأفكار دون تضارب أو بعثرة أو تشتت و ذلك خضوعا للإرادة التي تتغلب على الأجواء الخارجية، وهو ما يعبر عنه بالإستغراق أو بتعبير آخر الوجد أو الإشراق و فيه يتخيل الشاعر أنه ينصت إلى أصوات خارجية تسكب الشعر في أذنيه، إنها أصوات تأتيه واضحة جلية، مميزة و ذات إيقاع و هذه هي الصورة العامة للإبداع في الشعر الغنائي خاصة، و يقع في دائرة الإلهام السمعي auditory، و ذلك تفريقا له عن الإلهام الداخلي visual الذي يسبح فيه الشاعر في قصة طويلة يجمع خلالها المشاهد و يوزع الأحداث[2] .

ويزعم صنف من الشعراء انه يستطيع التحرر من سيطرة الإبداع، فيقول قصيدة ما كيفما شاء، ومتى شاء، فهو المسير للشعر و ليس الشعر هو المسير له، فيقول"بورا" عن مثل هذه الحالات:"هناك شعراء لا يستطيعون المضي طويلا في عملهم الشعري ومسايرة إلهامهم ويجدون أن عليهم أن يستعينوا بما أوتوا من إرادة وذكاء لإنجاز هذا العمل، وليس من الضرورة أن تكون الزيادات والإضافات أقل من جودة الشعر الملهم، وذلك أن الشاعر لا يزال خاضعا للرؤية الإبداعية التي تلح عليه، ثم هناك الإيقاع والنغم اللذان يترددان على مسامعه، ومع ذلك فإن هذه مهمة شاقة فالكلمات التي كانت تنثال عليه إنثيالا،

[1]– فضل بن عمار العميري ، الإبداع في الشعر العربي القديم ، ص 5 .

[2] –المرجع السابق ، ص 6 .

أصبحت تتطلب جهدا، وتنتزع انتزاعا و هي قد تفتقر إلى الجاذبية الشخصية التي تصاحب الإلهام، والحق أننا قد نفتقد عند بعض الشعراء الجذوة التي رافقت البداية، ونجد أن الشاعر عاجز عن إكساب شعره الدفق والحيوية " [1]

يعتبر القول بالإلهام كتفسير لعملية الإبداع الشعري هو أقدم ما قيل في هذا الصدد لدى الباحثين مند أفلاطون و عند الشعراء عند هوميروس الذي استهل الإليادة باستجداء ربات الشعر أن تنعمن عليه بالإلهام .

ب/- اكتساب الإطار

يعتبر اكتساب الإطار من أهم الأسس النفسية للإبداع الشعري وهو عبارة عن مجموعة من المكتسبات القبلية التي يجمعها الشاعر من خلال إطلاعه على التراث الشعري والثقافة والإحاطة بكل ما يمت إلى المعرفة بصلة .

«والإطار هو نظام تلتم فيه خبراتنا مكونة أبنية متكاملة على حسب ما بينها من اختلاف أو تشابه و خبراتي بتذوق الأعمال الفنية تلتئم في كل إطار استطيقى و خبراتي بميدان البحوث العلمية تلتئم مكونة إطارا خاصا وهكذا، فنحن نحمل في نفوسنا عددا وافرا من الأطر تنظم لها أفعالنا جميعا»[2].

والإطار أساس دينامي لتنظيم كل أفعالنا سواء في ذلك الأفعال التي يغلب عليها طابع التلقى كالإدراك، والأفعال التي يغلب عليها طابع الإصدار كالتكلم، وربما كانت العادات أوضح مظهرا لهذا الأساس الدينامي غير أن العادات لا تمثل الإطار في جميع جوانبه ذلك أنها يغلب عليها طابع التكرار و الجمود و الصلابة، بينما الإطار يمتاز بالمرونة[3] .

وقد أفاض النقاد في الحديث عن الأسس التي ينبغي للمبدع أن يعمل على التزويد بها وعلى الرغم من تعددها فإنها تلتقي جميعا في هدف واحد وهو الإجادة في العمل الشعري يقول أبو الحسن الجرجاني: «إن الشعر علم من علوم العرب يشترك فيه الطبع والرواية و

---

[1]- فضل بن عمار العميري ، الإبداع في الشعر العربي القديم ، ص 7 .

[2]- مصطفى سويف ، الأسس النفسية للإبداع الفني من الشعر خاصة ، ص 163 .

[3] -المرجع السابق ، ص 163 .

الذكاء ثم تكون الدربة مادة له، وقوة لكل واحد من أسبابه، فمن اجتمعت له هذه الخصال فهو المحسن المبرز، وبقدر نصيبه منها تكون مرتبته من الإحسان»[1].

و من الأسس المكتسبة التي يرى النقاد ضرورة وجودها عند المبدع الرواية فهي جد مهمة في حياتنا الفنية، وهي تعني غالبا رواية الأخبار و الأشعار، وبخاصة شعر الفحول التي يزود المبدع بالمعارف ومذاهب الشعراء وتصرفهم في الكلام، وبذلك فالرواية تمهد له السبيل و يشتد عوده في ميدان الإبداع و يكتمل نضجه و بعد ذلك يستطيع أن يستقل بشخصيته الفنية و يصبح قادرا على التصرف في وجوه الكلام، فالمعاني في الشعر المحفوظ كما يقول الجاحظ:« إذا صارت في الصدور عمرتها و أصلحتها من الفساد القديم و فتحت للسان باب البلاغة وولت الأقلام على مدافن الألفاظ و أشارت إلى حسان المعاني»[2].

وابن طباطبا أيضا يرى أن إدامة الشاعر بالنظر إلى الأشعار أمر مهم يقول:« فإذا جاش فكره بالشعر أدى إليه نتائج ما استفاده مما نظر فيه من تلك الأشعار»[3].

ويقول الخوارزمي «من روي حوليات زهير، واعتذارات النابغة، وخماسيات عنترة، وأهاجي الخطيئة و هاشميات الكميت، و نقائض جرير، و خمريات أبي نواس، و تسهيبات ابن المعتز وزهريات أبي العتاهية و مراثى أبي تمام، و ملائح البحتري، و روضيات الصنوبري، و لطائف كشاجم ... و لم يخرج إلى الشعراء فلا أشب الله قرنه»[4].

إن الرواية حسب هذه النصوص أمر مهم في حياة المبدع الفنية حيث يتم من خلالها شحذ طبعه وصقله قبل ممارسة الإبداع، فهي التي تبصره بمسالك الإبداع ودروبه و تسهل عليه القول في الأغراض التي تؤهله إليها قريحته و يتضح من كلامهم أيضا أن المقصودة بالرواية هو رواية النماذج الفنية ذات الجودة العالية و الإبتعاد عن الغث

---

[1] –عبد الرزاق حميدة ، شياطين الشعر ، مكتبة الانجلو المصرية ، 65 شارع محمد فريد، مصر ،د.ط،د.ت، ص 20 .

[2]– أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، البيان والتبيين ،تح عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي للطباعة للنشر و التوزيع ، القاهرة ، مصر ،ط7 ، 1998 م ص 24 .

[3]– ابن طباطبا العلوي ، عيار الشعر ، تح عباس عبد الستار ، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1982 ، ص 16 .

[4]– مصطفى سويف ، الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة ، ص 172 .

الرديء لأن المادة المروية ستكون بعد ممارسة العملية الإبداعية عنصر أصيلا في تكوين شخصية المبدع [1]، ولأن الإقتداء يكون بالمحسن لا بالمسيء .

ومن الأسس المكتسبة التي تحدث عنها النقاد في عملية الإبداع الشعري الثقافة الموسوعية للشاعر، وهذا يعنى أن الرواية وحدها لا تكفي؛ بل ينبغي على الشاعر معرفة ثقافة عصره و تنوعها فضلا عن المورث القديم، وبذلك أصبح الشاعر مأخوذا بكل علم.

فالجاحظ مثلا يشترط في البيان المعرفة و العلم وهما مصطلحان يتميزان بالإحاطة و الشمول، فصاحب البيان لا يقتصر على معرفة لون واحد من الثقافة بل هو مطالب بالإحاطة بكل ما يمت إلى معرفة بصلة و يتضح هذا من قوله: «و اللسان لا يكون أبرأ ذاهب في طريق البيان متصرف في الألفاظ إلا بعد أن تكون المعرفة متخللة، به منقلة له واضعة له في مواضيع حقوقه و على أماكن حضوضه وهو علة في الأماكن العميقة و مصرف له في المواضيع المختلفة» [2] .

وابن قتيبة أيضا اشترط سعة الثقافة على المبدعين فالمبدع لا يكتفي بالثقافة الأدبية التي يحصلها عن طريق الرواية، «إنما عليه أن يطلع على علوم العرب المتمثلة في معارف عامة عن الحيوان و النجوم و أنواعها، و الأفلاك و فصول السنة و نصيبها من الخصب و الجدب و الرياح و البرق و السحاب جهامه و ماطره، وعليه أن يكون عارفا بالأحداث التاريخية و الاجتماعية و أخبار العرب و أنسابها و بالمعارف العامة المعاصرة له وبمعارف مجتمعة و عاداته و تقاليده لكي يتمكن من تصويرها بكل دقة، وعليه أيضا أن يمتلك معرفة لغوية حتى يتمكن من معرفة وحشي الكلام، ويعرف أسهل الألفاظ وأكثرها وضوحا والبعيدة عن المعاضلة» [3] .

وابن الأثير أيضا يرى ضرورة معرفة المبدع لثقافة الوسط الاجتماعي الذي يعيش فيه و يعكسها في إبداعاته يقول:« وبالجملة فإن صاحب هذه الصناعة يحتاج إلى التشبث

---

[1] -عبد القادر هني، نظرية الإبداع في النقد العربي القديم، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،دط 1999م، ص127 .

[2] -الجاحظ، الحيوان، تم عبد السلام هارون، مطبعة مصطفى البياني الحلبي و أولاده، مصر،ط2 ، 1965م ، ج1 ص 117 .

[3] -ابن قتيبة ، الشعر و الشعر ، تح أحمد محمد شاكر ، دار المعارف ، القاهرة ، ج1،دط،دت ، ص 64 .

بكل فن من الفنون حتى أنه يحتاج إلى معرفة ما تقوله النادبة بين النساء و الماشطة عند جلوس العروس، و إلى ما يقوله المنادى في السوق على السلعة، فما ظنك بما فوق هذا؟ و السبب في ذلك انه مؤهل لأن يهيم في كل واد فيحتاج أن يتعلق بكل فن»[1] .

وقد اشترط النقاد أيضا معرفة واعية باللغة و ما يلحقها من العلوم الأدبية كالنحو والتصريف، وأيضا علم العروض و القوافي الذي يعد ميزان الشعر، و كذلك كل ما يتصل بالثقافة الأجنبية كمعاني العجم وأمثال الفرس ورسائلهم وسيرهم ومكائدهم في الحروب و حدود المنطق[2].

ومن الأسس المكتسبة التي أقر النقاد بضرورة وجودها الدربة التي عن طريقها يستطيع المبدع أن يرتب و ينظم ما حصله من رصيد ثقافي متنوع، فهي مرحلة لابد منها في حياة المبدع، فهذا الأخير لا يمكن أن يصل إلى مرحلة النضج و النجاح في أعماله إلا بعد التمرن على الإبداع، لذلك تنبه النقاد إلى الفرق بين المحاولات الأولى للمبدعين و بين إنتاجهم بعد اكتمال، ملكة الإبداع عندهم بفضل الدربة و المران، فالبدايات الأولى تعد بمثابة نوع من التمرين، فالمرزوقي يقول: «وعيار مشاكله اللفظ للمعنى وشدة اقتضائهما للقافية طول الدربة ودوام الممارسة»[3] .

يتضح من هذا أن الدربة تعمل على تنمية الذوق وتمكن المبدع من اكتشاف ما يعترى إبداعه من ضعف أو اضطراب في النسيج المترتب عن سوء التأليف بين العناصر فطول الدربة يقوي الحس الفني عند المبدع و ينميه .

والإطار الشعري إذا لم يتوفر لدى الشاعر فإنه لن ينتج و في ذلك قول يوسف مراد:«إن لم يكن الشاعر أو الأديب أو الفنان ذا ثقافة واسعة أجهد عقله في اكتسابها لما

---

[1]- ابن الأثير ، المثل السائر ، تح محي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية، بيروت ، لبنان،د.ط، 1995 م ،ج 1، ص 36 .

[2] –عبد القادر هني ، نظرية الإبداع في النقد العربي القديم ، ص 132 .

[3]– المرزوقي ، مقدمة شرح ديوان الحماسة ، تح أحمد أمين و عبد السلام هارون ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، ط1، 1991 م ج 1 ، ص 11 .

أتيح له أن يصوغ الأبيات الفنية الخالدة التي تطوى الدهور طيا بدون أن تفقد روعتها، بل تزداد جمالا كلما اتسعت آفاق الإنسان الثقافية، وأصبح أوسع فهما و أنفذ صبرا»[1]

إن صلة الإطار بالإبداع صلة قوية إلى حد بعيد بمعنى أن الشاعر يلزمه إطار شعري و القصاص يلزمه إطار يكتسبه بكثرة الإطلاع في ميدان القصة وبالمثل حال المصور و الموسيقي وسائر الفنانين جميعا، والإطار اللازم للفنان المبدع لا يكتسب إلا بعملية تذوق منظمة تنظيما خاص، يقول "ريدلي" أن " كيتس" لم يكن يقرأ لشكسبير كما يقرأه أي قارئ عادي بل كان يبدو أن قراءته موجهة توجيها خاصا و هذا ما يؤكده توفيق الحكيم في قوله:«أما أنا فلا تعنيني حكاية الكاتب بل يعنيني فنه و سر صناعته وطريقة أسلوبه في البناء و خلق الأشجار و نسج الجو و إحداث التأثير»[2].

ومن هنا يتبين لنا أن الإطار عند الفنان أو الشاعر منظم تنظيما خاص و مرتبط به ارتباط وثيقا، و من أهم أسس الإبداع الشعري، «و أيضا لا بد للأديب من مواهب فنية و استعدادات وذكاء يستعين بها كلها على أن يكون أديبا ثم يقوى هذه المواهب و الاستعدادات بالكسب و المران فتتأثر مواهبه بنوع من الكسب و حالة المران أي أن الأديب شخص موهوب يستعين بالكسب»[3] .

4/- الأسس الاجتماعية للإبداع الشعري

لطالما قيل أن ما يرد على الشاعر في لحظات الإبداع يرد من منابع يجهلها الشاعر نفسه و يكون وروده فجائيا، وهذا ما يعبرون عنه " بالإلهام " غير أن لحظات الإلهام ليست كل شيء في عملية الإبداع الفني، إنما الإبداع عملية معقدة غير متجانسة .

1/- العبقرية

أ-لغة:

نسبة إلى مكان يسمى **عبقر**، و يعرفه ابن منظور في لسان العرب بأنه موضع بالبادية كثير الجن، ويقال في المثل كأنهم جن عبقر.

---

[1] - المرجع السابق، ص 174 .

[2] - المرجع السابق ، ص،147 .

[3] - عبد الرزاق حميدة ، شياطين الشعر ، ص 32 .

ويروى أيضا أنها قرية باليمن توشى فيها الثياب فصارت مثلا لكل منسوب إلى شيء رفيع، وقال الزمخشري العبقري منسوب إلى عبقر، تزعم العرب أنه بلد الجن فينسبون إليه كل شيء عجيب أما ياقوت فيجمل " عبقر" موضعين واحد منهما بنواحي اليمامة و الآخر كان يمكنه للجن و لم يعين موضعه .

ب-اصطلاحا :

تدل كلمة " عبقرية " على تلك المقدرة الذهنية، والمهارة العقلية التي يتفوق صاحبها بفضلها في الإبداع والاختراع[1].

إن الشرط الأول لقيام الشاعر العبقري هو ظهور علاقة معينة بينه وبين مجتمعه، فلا يمكن تفسير ظاهرة الإبداع من داخل الشاعر فحسب، وهذا ما التقى عنده معظم الباحثين فثاولس R.H.Thouhess يرى أن الخطوة الأولى نحو تعليل الإبداع الفني، هي الكشف عما شهده الشاعر من نقص في بيئته و كيف دفعه شعوره بهذا النقص إلى تفقد الحل الذي يرضيه، ويقرر أن الإبداع نشاط اجتماعي من بعض نواحيه، و أن الفنان إنما يريد به أن يوقظ بعض استجابات معينة فيمن يشهد أنه[2] كذلك بونج، فتفرقته بين نوعي اللاشعور الفردي و اللاشعور الجمعي، واعتباره الأخير مصدر الإبداع في روائع الفن وتعليقه مثل الإبداع على الأزمات الحادة و انهيار المجتمع، وتحرك اللاشعور الجمعي لإعادة الاتزان حيث إن مهمته تعويضية ورموز النماذج البدائية الموروثة و تعلق الشاعر ببعضها، كل أولئك دليل على أنه يعتبر الكشف عن طبيعة العلاقة بين الشاعر و المجتمع خطوة هامة في تفسير عملية الإبداع الفني[3] .

من ذلك يتبين أن الخطوة الأولى في الكشف عن عبقرية الشاعر، وعن العبقرية بوجه عام، هي الكشف عن علاقة العبقري بمجتمعه .

---

[1] -عبد الرزاق حميدة ، شياطين الشعراء ، ص 57 . 58 .

[2] -مصطفى سويف الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصته ، ص 120 .

[3] -المرجع السابق ، ص ن .

ومنشأ العبقرية يكون من خلال الصراع الذي تتعرض له الشخصية، بين أهدافها الخاصة و الهدف المشترك للجماعة، كما يمكن أن يكون منشأ أية ظاهرة تدل على سوء التكيف .

و قد أكد معظم الباحثين فكرة الصراع باعتباره علة العبقرية[1] أفجينو سفيريني G Severihi يقول « من الجلي أن الصراع بين الفنان و المجتمع أمر على غاية من الأهمية ... و لكن إذا كان لدى الفنان ما يقوله وإذا أتيح له القول في حرية، فإن الاتصال يمكن أن يتم دائما بين عالمه و عالم الآخرين» و هو هنا يبين أهمية الصراع ويضع شرطا و هو أن يكون للفنان الحرية داخل المجتمع و بهذا يكون لديه اتصال من خلال عالمه و عالم الآخرين، و فرويد يرى أن الفنان شخص ينصرف عن الواقع ويطلق العنان لتهويماته تنسج حول رغباته الشبقية والشيء الذي لا شك فيه أن السعداء فعلا لا يعرفون التهويم، إنما يعرفه الأشقياء فحسب وقد ألقى بأحاديث كثيرة حول الصراع اللاشعوري واندفاعه إلى الظهور في الأعمال الفنية عن طريق التسامي و موقف يونج مشابه لموقفه من هذه الناحية و كذلك موقف أدلر[2] .

وقد أورد شتاين M.I.Steih ضمن نتائج بحثه التجريبي المقدم إلى مؤتمر أوتا المنعقد سنة 1900 ما يتفق مع الخطوط العامة لهذه الآراء جميعا ففي مقارنة بيوغرافية بين مجموعة من الشبان المبتكرين و مجموعة من غير المبتكرين تبين له أن المجموعة الأولى تتميز بسمتين هامتين فقد قضى أفرادها طفولتهم في شيء من التباعد عن الأبوين وعن الراشدين عامة يفوق مثيله في حالة غير المبتكرين، كذلك قضى المبتكرون طفولتهم مهتمين بضروب النشاط الانفرادي في حين أن غير المبتكرين كانوا في الغالب مشاركين في كثير من ضروب النشاط الجماعي[3].

[1] – مصطفى سويف الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصته ، ص 120 .

[2] – مصطفى سويف، الأسس النفسية للتكامل الاجتماعي، دار المعارف،القاهرة ، مصر د.ط،1944 ، ص 127 .

[3] –المرجع السابق، ص134 .

وعلى هذا الأساس يمكن القول أن حركة العبقري تبدأ من حدوث صدع في " النحن " و يحدث هذا الصدع تؤثرا عاما في الشخصية يعمل على دفعها دائما و تتجه محاولة العبقري إلى تغيير الحواجز لا إلى تحطيمها .

و من ثم تكون ديناميات السلوك في حالته، مختلفة عنها في حالات أخرى و من الواضح أن حركة العبقري مدفوعة بالسعي نحو هدف واقعي وراء الحواجز و إن لم تكن واضحة منذ البداية و على هذا الأساس تكون موجهة إلى حد بعيد[1] .

سبق و أن قلنا أن حركة العبقري تبدأ من تصدع النحن و ليس معنى ذلك أننا نقرر ضمنيا وجود مرحلة سابقة على مرحلة التصدع هذه كان الشاعر فيها شخصا متكاملا مع مجتمعه الخاص أو العام، ولكننا نقرر فحسب أنه يمارس شعورا نوعيا من عدم الاستقرار يمكن أن يكون قد سبقه استقرار أولا يكون، و أن عدم الاستقرار هذا مرجعه إلى بروز الصدع و ازدياد شعور الشخص بالحاجة إلى النحن .

يقول توفيق الحكيم في إحدى رسائله :

« ثم هناك شيء آخر ... هو طبيعتي التي تميل إلى عدم الأخذ بما يأخذ به الناس جميعا من أوضاع هربا من الوقوع في الابتذال و شغفا جنونيا بالتميز و الإغراب ... لقد وجدت سندا و أساس لرغبتي المحرقة في الخروج على ما أسميه المنطق العام و أقصد المنطق المبني على فروض عامة مصطلح عليها غير متنازع في صوابها، كالفرض بأن الغيرة مثلا دليل الحب أو أن الخيانة رذيلة فالنتائج المترتبة على هذه الفروض العامة تكون في الغالب هي الأخرى نتائج عامة و يصح عندئذ تسمية كل ذلك بالمنطق العام أريد أن يكون هناك منطق خاص، يحوي فروضا خاصة لا تخضع للمألوف من الآراء و المشاعر، كالفرض بان الحب لا يحوي غيره مطلقا و لا بغظا مطلقا و من مثل هذه الفروض تتولد نتائج خاصة، و من خلاصة كل ذلك يقوم ذلك الذي أسميه المنطق الخاص ...» [2].

---

[1] – مصطفى سويف، الأسس النفسية للتكامل الاجتماعي ، ص 134 .

[2]– توفيق الحكيم ، زهرة العمر ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، مصر ، ط2 ، 1944 م ،ص 51–54 .

ما نلاحظه في هذه الرسالة هو أنها تصف تلك الحالة التي نسميها تصدع النحن و هي تصفها وصفا مباشرا، فهذا الفنان يفر من الواقع، فهو في رسالته يرغب في الخروج على ما سماه المنطق العام، الخاص بالمجتمع إلى المنطق الخاص الذي يراه هو، و هو بهذا لا يريد التقيد بالقوانين العامة، بل يريد أن يخرج على المألوف، ليوّلد شيئا خاصا .

ولنخرج الآن من دائرة الحديث عن تصدع النحن إلى الحديث عن علاقة الشاعر بالآخر، أو المتذوق، فالشاعر و المتذوق يُكوّنَان مجتمعا متكاملا، أو يكونان «نحن» وحركة الشاعر مدفوعة نحو هذه النحن الجديدة، و قد تحاشينا أن نقول إنها تهدف إلى النحن، لأن هذا اللفظ قد يوحي بأنه يشعر بذلك و ينظم خطواته نحوها كهدف، و هذا غير صحيح طبعا، و الفنان كثيرا ما ينفي، فإذا سئل هل تؤلف شعرك للقراء، قال كلا، وهو صادق في هذا النفي و لو أنه غير دقيق، فللشاعر على الأقل قارئ واحد، إن لم يكن عددا من القراء .

و هو ينفي بأن هؤلاء القراء يتدخلون في نظمه للقصيدة و بالتالي ينفي القول بأنه يفكر أو ينظم بمقياسهم . و قد نتفق معه على ذلك، و لكننا نقرر بعد أن يفرغ من النظم يهتم جيدا بأن يعرض ما ألف على هؤلاء، و لهذا الاهتمام دلالة معينة، إذ أنه مظهر اندفاع «أنا» الفنان نحو النحن الجديدة التي تحقق له الاستقرار، و نحن نقرر أن حركة الإيداع لا تتم إلا بهذه الحركة نحو «الآخر» .

و هذه الحركة هي محاولة بناء «نحن» و عليه إن ما يدفع العبقري إلى حركته هو قوة الحاجة إلى النحن، و إن هذه القوة نفسها لتبدو في حياة أبناء المجتمع ممن ليسوا من العبقرية في شيء تبدو هذه الرابطة المتينة الخفية التي تربط بينهم، و التي تجعل من الحياة الاجتماعية ضرورة للإنسان تتخذ أشكالا مختلفة باختلاف شتى الظروف البالغة التعقيد، لكنها على كل حال هي من حيث دلالتها الدينامية، و لو أن ما يسود من توازن إلى حد ما يخفي الأعماق الكامنة وراءه .

الفصل الثاني: أسس الإبداع الشعري عند ابن رشيق

الفصل الثانـي :أسس الإبـداع الشعـري عند ابن رشيـق

المبحث الأول : مدخل لأسس الإبداع الشعري في كتاب العمدة .

1-مفهوم الإبداع الشعري عند بن رشيق.

2-تقديم لأسس الإبداع عند بن رشيق.

المبحث الثاني : أسس الإبداع الشعري .

1-الأسس الفطرية

أ- الطبع .

ب- البديهة و الارتجال .

ج- الإدراك الحسي .

د- تخير أوقات و أماكن قول الشعر .

2- الأسس المكتسبة

أ- الرواية .

ب- العلم و الثقافة .

ج- الدربة و المران .

المبحث الأول: مدخل لأسس الإبداع الشعري في كتاب العمدة

1/- مفهوم الإبداع الشعري عند ابن رشيق

إن ابن رشيق كغيره من النقاد قد تحدث في مصنفاته عن العملية الإبداعية مستندا في ذلك على بعض الآراء السابقة المتناثرة في الكتب النقدية و إلى عقليته المنظمة فاستطاع نوعا ما جمعها و تنسيقها و بخاصة في مصنفه العمدة .

و كما حاول أيضا أن يقدم تعريفا للإبداع الشعري، وذلك في باب المخترع و البديع و قد ذكر أين ابن رشيق ثلاث مصطلحات و هي البديع و الاختراع و الإبداع، وعمل على تحديد مفهوم هذه المصطلحات، فالإبداع عنده هو:«إتيان الشاعر بالمعنى المستطرف و الذي لم تجر العادة بمثله ... و الإبداع للفظ»[1].

نفهم من هذا التعريف أن الإبداع هو قدرة الشاعر على إنشاء المعنى أولا، و الإتيان بمعنى جديد لم يسبقه إليه أحد، و إبداعه على غير مثال، و الإبداع حسب رأيه خاص باللفظ.

أما البديع فهو « الجديد و أصله في الحبال، و ذلك أن يفتل الحبل جديدا ليس من قوى حبل نقضت ثم فتلت فتلا آخر»[2] يتضح من تعريفه أن البديع هو ابتداء الشيء و إحداثه على غير مثال، وكلمة البديع تتصرف عنده في الاستعمال البلاغي إلى تلك المحسنات البديعية و من بينها، الاستعارة و التجنيس و المطابقة ...

كما أن إبن رشيق يرى بأنه لا يمكن لنا أن نعد كل جديد و مبتكر في العمل الشعري إبداع و إنما يشترط أن تقيد الجدة بملائمة السياق ، ويتضح هذا من خلال عرضه لقوله أبي عون الكاتب:

تُلاَعِبُهَا كَفٌ المزاج مَحَبَةً وَ لَهَا وليَجْرِى ذَاتَ بَيْنِهِمَا
فَتَزِيدُ مِن تيه عَلَيْهَا كَأَنَّهَا غَرِيزَةُ خِدْر قد تَخَبَّطَهَا المَسُّ[3]

[1] - ابن رشيق القرواني ، العمدة في محاسن الشعر وآدابه و نقده ، ص 265 .
[2] - المرجع السابق ، ص 265 .
[3] - المرجع نفسه ، ص 301 .

يعلق عليه بقوله «فلو أنّ في كل هذا بديع لكان مقيتا بشعاً ، ومن ذا يطيب له أن يشرب شيئا يُشَبَّه بزبد المصروع، وقد تخبطه الشيطان من المس»[1].

فالبديع هنا بمعنى الجديد المبتكر الطريف، ونفهم من تعليق ابن رشيق على هذا البيت الشعري أن وجود الجديد في العمل الشعري لا يكفى لوصفه بالإبداع، و لكن ينبغي أن يلائم ما هو جديد سياق المعنى؛ لأن تشبيه رغوة الخمر بالرغوة التي تعلو فم المصروع شيء مقزز و منفر، ولا يحقق الترابط بين طرفي الصورة إنما يحدث نوعا من الانفصام.

أما الاختراع فقد عرفه بقوله « ما لم يسبق إليه قائله ولا عمل أحد من الشعراء قبله نظيره أو ما يقرب منه»[2]، و نفهم من تعريفه أن الاختراع هو ابتداء الشيء و السبق إليه و إلى إحداثه و الاشتهار به، وقد خص الاختراع بالمعنى و مثل له بقول امرئ القيس .

سَمَوْتُ إلَيهَا بَعْدَ مَا نَام أَهْلُهَما سُمُوَّ حَبَابِ المَاء حَالاً على حَالِ[3]

وعلق عليه بقوله:«فإنه أول من طرق هذا المعنى و ابتكره و سلم الشعراء إليه فلم ينازعه أحد إياه»[4].

والاختراع عنده يعني الخلق ويتضح هذا من قوله الاختراع هو خلق المعاني التي لم يسبق إليها و الإتيان بما لم يكن منها قط .

كما أضاف ابن رشيق مصطلحا آخر قريب من هذا المعنى؛ أي الإتيان بجديد و لكن بالإقتداء، وهذا المصطلح هو التوليد و قد عرفه بقوله «أن يستخرج الشاعر من معنى شاعر تقدمه، أو يزيد فيه زيادة، فلذلك يسمى التوليد، وليس باختراع لما فيه من الإقتداء بغيره، ولا يقال له أيضا " سرقة " إذا كان ليس أخذا على وجهه»[5].

---

[1]- ابن رشيق القيرواني ، العمدة في محاسن الشعر وآدابه و نقده، ص 301.

[2]– **المرجع السابق، ص**: 262 .

[3] –ديوان امرئ القيس ، ش عبد الرحمن المصطفاوي ، دار المعرفة ، بيروت لبنان ط2 ، 2004 م ، ص 136 .

[4] –ابن رشيق القيرواني ، العمدة في محاسن الشعر وآدابه و نقده ، ص 262 .

[5] –المرجع السابق ، ص 263 .

إن التوليد حسب رأيه هو استخراج معنى جديد و لكن النسيج يكون على منوال معنى موجود، و هذا ليس باختراع و من صوره قول امرئ القيس:

سَمَوْتُ إليها بعد ما نام أهْلُهَا سُمُوَّ حُبَابُ الماء حَالاَ على حالِ[1]

و قد اعتمد عليه عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة، وقيل وضاح اليمنى في توليد معنى مليح بقوله:

فاسْقُطْ علينا كَسُقُوط النوى ليلةَ لا نَاه و لاَ زَاجِرُ[2].

و قد علق بقوله « فولد معنى مليحا اقتدى فيه بمعنى امرئ القيس دون أن يشركه في شيء من لفظه، أو ينحو من لفطه، أو ينجو نحوه إلا في المحصول، وهو لطف الوصول إلى حاجته في خفية»[3].

يتضح من كل ما سبق أن المصطلحات التي تحدث عنها ابن رشيق تتداخل فيما بينها فكلها تعنى الإتيان بالشيء الجديد الذي لم يسبق إليه إلا أنه خص الإبداع باللفظ و الاختراع بالمعنى، أما التوليد على الرغم من أن الشاعر يأتي فيه بجديد إلا أنه يقتدي فيه بغيره و ينسج على منوالهم.

2/- تقديم لأسس الإبداع عند ابن رشيق

إن قول الشعر عملية معقدة فلا يمكن أن نرجعه إلى مصدر واحد أي؛ لا يمكن أن نعده إبداع فردي لا دخل للعوامل الخارجية فيه، لأن البيئة الخارجية بكل معطياتها المادية و المعنوية لها دور كبير فيها أي أن:«العمل الأدبي ليس من إبداع الفرد وحده و لا من إبداع العوامل الخارجية وحدها ... إنما تسهم هذه العوامل بطريقة أو بأخرى في نشوئه، وإن كان ميلاده يتم على مستوى ذات المبدع المتفاعل مع مجمل الظروف بهذا المبدع»[4]

نستشف من كل هذا أن العملية الإبداعية في الشعر يسهم في بلورتها عدة عوامل خارجية و أخرى فردية تتحد فيما بينها و تساعد المبدع على التعبير عن فكرته.

---

[1] -ديوان امرئ القيس، ش عبد الرحمان المصطفاوي ، ص 136 .

[2] -ابن رشيق القيرواني ، العمدة في محاسن الشعر و أدبه و نقده ، ص 263 .

[3] -المرجع السابق ، ص 263 .

[4] -رينيه ويليك و أوستن وازين ، نظرية الأدب ، تر:محي الدين صبحي ، مراجعة حسام الخطيب المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، بيروت ، لبنان ، ط2 ، 1981 م ، ص 270 .

والسؤال الذي يمكن طرحه ما لذي يجعل الشاعر شاعرا ؟ و لعل هذا السؤال طرحه من قبل عبد العزيز الجرجاني في قوله: «و أنت تعلم أن العرب مشتركة في اللغة و اللسان وأنها سواء في المنطق و العبارة و إنما تفضل القبيلة أختها بشيء من الفصاحة، ثم تجد الرجل منها شاعرا مفلقا و ابن عمه وجار جانبه و لصيق طنبه بكيا مفحما و تجد فيها الشاعر أشعر من الشاعر ... فهل ذلك من جهة الطبع والذكاء وحدة القريحة والفطنة..»[1]

[1] –القاضي الجرجاني ، الوساطة بين المتنبي و خصومه ، ص 20 .

المبحث الثاني: أسس الإبداع الشعري

إن ابن رشيق كغيره من النقاد قد تفطن إلى هذا الجانب في العملية الإبداعية، وأدرك أنه توجد منابع و مصادر تسهم في جعل الرجل مبدعا، ويتجلى هذا في العوامل المهمة التي تسهم في جعل الرجل قادرا على الإبداع الشعري، ويمكن أن نسميها بأسس الإبداع و يمكن أن نقسمها إلى نوعين أسس فطرية و أسس مكتسبة .

1/- الأسس الفطرية

أ-الطبع

إن قضية الطبع من القضايا التي استحوذت على اهتمام النقاذ و البلاغيين العرب القدماء و لا يكاد أي كاتب تراثى نقدي و بلاغي يخلو من التعرض لهذه القضية بشكل أو بآخر، فيا ترى ما مفهوم الطبع و ما هو موقف ابن رشيق من هذه القضية؟ و ما هو موقفها من العملية الإبداعية ؟

فالطبع إذن هو:« الفطرة التي فطر عليها الإنسان، فهي إذن صفة ترتبط بسلوك الإنسان و خلقه»[1]، و جاء في لسان العرب «طبع الله الأمر بطبعه طبعا : فطره و طبع الله الخلق على الطبائع التي خلقها فأنشأهم عليها و هي خلائقهم يطبعهم طبعا: خلقهم وهي طبيعته التي طبع عليها و طبعها والتي طبع عليها»[2].

ما يعني أن الطبع هبة ربانية فطرية مستترة في ذات الإنسان و لا دخل للاكتساب في وجوده، وابن رشيق يرى ضرورة توافها لدى المبدع و يتضح ذلك من خلال استشهاده بعبارة القاضي الجرجاني التي يصرح فيها بأن الشعر أحد علوم العرب التي يشترك فيها الطبع، فالطبع عنده هو الأصل و يتضح هذا أيضا من حديثه عن الشعر المطبوع و المصنوع إذ يرى أن «الشعر المطبوع هو الأصل الذي وضع أولا و عليه المدار»[3]

---

[1] -مصطفى درواش ، خطاب الطبع و الصنعة ، منشورات اتخاد العرب ، دمشق سوريا دط، 2005م ، ص 12 .

[2] -أبو الفضل ابن منظور ، لسان العرب، ج8 ، (مادة طبع) ، ص 232 .

[3] -ابن رشيق القيرواني ، العمدة في محاسن الشعر وأذابه و نقده ، ص 129 .

وكذلك استشهد في هذه القضية برسالة بشر بن المعتمر الذي تحدث فيه عن البلاغة، ومن خلال قراءتنا نصل إلى أن بشر بن المعتمر يرى أن الأديب احد الرجلين: أولهما رجل يكاد يكون موهوبا فيتحدث عن موضوعه و يعبر عن معاينة بما يناسبها من الألفاظ مراعيا في ذلك موافقة الحال و المقام[1]، و ثانيهما رجل يكون أقل منزلة من الأول؛ لأن الموضوع لا يواتيه للنظرة الأولى و لا تسمح له الطباع بذلك، فعليه أن لا يتعجل و لا يضجر، و إنما عليه أن يتركه مدة معينة و يعاوده عند نشاطه وفراغ باله ويبذل شيئا من الجهد و حين ذلك «لا يعدم الإجابة و المواتاة إن كانت هناك طبيعة»[2] وأما من «تمنع عليه بعد ذلك من غير حادث شغل و من غير طول إهمال؛ فالمنزلة الثالثة أن تتحول عن هذه الصناعة إلى أشهى الصناعات إليك»[3] .

يتضح من هذا القول أن الذي لا طبع له عليه أن يتحول عن الصناعة إلى صناعات أخرى يشتهيها و يحبها .

إن ابن رشيق يقر بدور الطبع أو الموهبة في العملية الشعرية بل جعله الوميض الذي يقود الشاعر إلى الإبداع، فهو يساعد المبدع على تحقيق الاستواء في نسيج عمله الشعري واكتمال جمالياته حيث يقول:«البيت من الشعر كالبيت من الأبنية قراره الطبع»[4].

أما التكلف إذا كثر في العمل الشعري يصبح عيبا، و لكن هذا لا يعني أن ابن رشيق يعتبر العملية الإبداعية غير واعية؛ أي القريحة وحدها التي تتحكم فيها و تملئ على المبدع ما يكتبه بل يعتبرها عملية واعية ويتضح ذلك من كلامه عن الطائي فيقول: «إنما حبيب كالقاضي العدل يضع اللفظة موضعها، و يعطى المعنى حقه بعد طول النظر و البحث عن البنية ...» [5] .

---

[1] – ابن رشيق القيرواني ، العمدة في محاسن الشعر آدابه و نقده ، ص 213 .

[2] –المرجع السابق ، ص 214 .

[3]– المرجع نفسه ، ص 214 .

[4] –المرجع نفسه ، ص 212 .

[5] –المرجع نفسه ، ص: 133 .

وأيضا قوله: «و لا يكون الشاعر حادقا مجودا حتى يتفقد شعره، و يعيد فيه نظره فيسقط رديئه ويثبت جيده و يكون سمحا بالركيك منه، مطرحا له راغبا عنه فإن بيتا جيدا يقاوم ألف رديء»[1].

يتضح من كلامه أنه لابد من إعمال العقل في العملية الإبداعية فلا يكتب كل ما تميله عليه قريحته بل يستعمل عقله في الاهتداء إلى عناصر القصيدة و تحقيق التأليف بينها و تنسيقها و تحقيق التلاؤم بين بعضها البعض ليكون عمله الإبداعي خاليا من الاضطراب وسوء التأليف .

وعلى الرغم من هذا التصريح إلا أن الشاعر عنده عليه «أن يترك للطبع مجالا يتسع فيه» فالطبع حسب رأي ابن رشيق يزود صاحبه بقدرة كبيرة تمكنه من القول و تعينه على التأليف وتصون قصيدته من الاضطراب والخلل و يتجلى هذا في حديثه عن بشار بن برد يقول: «تنشد أقصر شعره عروض، وألينه كلاما فتجد له في نفسك هزة و جلبة من قوة الطبع ... ».

إن الطبع القوي والجيد يعين المبدع في الاهتداء إلى عناصر النص و حسن التأليف بينها و تنسيقها واختلاف المبدعين في هذه الناحية تابع لاختلافهم في الطبع فأقواهم طبعا أصحهم تألفا وجودة .

ونستخلص من كل ما سبق أن ابن رشيق يعتبر الطبع كعنصر ثابت في العملية الإبداعية و لا يقبل أن يخلو العمل الشعري منه؛ لأن عدم وجوده يؤدي إلى خلو العمل الإبداعي من أسباب الجمال و التميز .

ب- البديهة و الارتجال

لقد عد ابن رشيق البديهة و الارتجال من أسس الإبداع الشعري ، وهما مصطلحان فنيان في فن الإنشاء الشعري و القول، وقد أشار ابن رشيق إلى اختلاف مفهوميهما عن كثير ممن وسم بالعلم في عصره، والبديهة عندهم تعنى الارتجال و الحق أن بينهما فرقا كما يقول ابن رشيق:«فالارتجال أسرع من البديهة وفيه انهمار و تدفق الكلام و الأفكار أما

[1] –ابن رشيق القيرواني ، العمدة في محاسن الشعر آدابه و نقده ، ص 200 .

البديهة فتأتي بعد تفكير يسير و تكون قليلة متقطعة و لا يوقظها إلا إطراق و تفكير يسير»[1] وفي هذا يقول ابن رشيق: «و أما البديهة فبعد أن يفكر الشاعر يسيرا و يكتب سريعا إن حضرت آلة، وإلا أنه غير بطئ و لامتراخ فإن أطال حتى يفرط أو قام من مجلسه لم يعد بديها»[2].

«واشتقاق البديهة من " بَدَهَ " بمعنى بدأ، أُبْدِلَتْ الهمزة هاء كما أبدلت في أشياء كثيرة تقربها منها، فقد قالوا مدح ومده ، ولهِنّك تفعل كذا، بمعنى لأنك و مثل ذلك كثير.

والارتجال مأخوذ من السهولة و الإنصباب، ومنه قيل شعر رجل، إذا كان سبطا مسترسلا غير جَعْد، وقيل هو من ارتجال البئر، وهو أن تنزلها برجليك من غير حبل»[3].

وقد مضى في التوسع في بحث هذين المصطلحين ضاربا لهما نماذج في أحوال الشعر مثل ما فعل الفرزدق و قد دفع إليه سليمان بن عبد الملك أسيرا من الروم ليقتله فدس إليه بعض بني عبس سيفا كهاما فنبا حين ضرب به فضحك سليمان، فقال الفرزدق ارتجالا في مقامه ذلك يعتذر لنفسه، ويعير بني عبس بِنبُوِّ سيف ورقاء بن زهير عن رأس خالد بن جعفر :

فَإِنَّ يكَ سَيْفَ خَانِ أَو قْدَرَ أَبِي لتأخير نَفْسُ حِينَهَا غَيْرَ شَاهِد
فَسيف بُنِّيِّ عَبَسِ قَدْ ضربوا به نَبَا بيدى وَرْقَاءَ عَنْ رَأْسَ خَالِدُ
كَذَلِكَ سُيوفِ الْهِنْدِ تَنْبُو طُبَّاتُهَا وَيُقْطِعْنَ أَحْيَانَا مَنَاطَ الْقَلَائِد
و لَوْ شِئْتِ قَطُّ السَّيْفَ مَا بَيْنَ أَنَقَّهُ إِلَى عَلِقَ دُونَ الشَرَاسِيف جَاسِدِ[4]

ثم جلس و هو يقول :

ولَا نُقَتِّلُ الأسرى و لَكُنَّ نفكهم إذاً أَثْقَلَ الأعناق حِمْلَ المَغَارِمِ 5

وما نلاحظه على هذا الشعر أنه جاء سريعا متدفقا دون سابق تحضير معبرا عن الموقف الذي قيل فيه ، وهذا هو الارتجال الذي يميز الشاعر المبدع .

---

[1]– لعيب ويزة ، كتاب العمدة في ضوؤ الدراسات النقدية الحديثة ، مذكرة لنيل شهادة الماجيستر جامعة مولود معمري ، تيزي وزو ، الجزائر ، 2011م،ص14 .

[2]– ابن رشيق القيرواني ، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ، ونقده ، ص 192

[3] –المرجع السابق ، ص 196 .

[4]– ابن رشيق القيرواني ، العمدة في محاسن الشعر و آدابه ، ونقده ، ص190 .

[5] -المرجع السابق ، ص190.

وكان أبو نواس قوي البديهة و الارتجال و لا يكاد لينقطع و لا يروى إلا فلته ؟، روى أن الخصيب قال له مرة يمازحه و هما بالمسجد الجامع: أنت غير مدافع في الشعر و لكنك لا تخطب فقام من فوره يقول مرتجلا :

نْصحَتُكُمْ أَهلَّ مُصرٍّ نَصيحَتِي إلّا فَخَّذُوا مِنْ نَاصِحٍ بِنَصِيبِ
رَمَّاكُمْ ' أميرِ الْمُؤْمِنَيْنِ ' بِحِّيَّةً أكول لِحْيَاتِ الْبِلادِ شَرُوبَ
فَإِنَّ يك باقِي سَحَرِ فِرْعَوْنِ فِيكُمْ فَإِنَّ عَصًا مُوسى بِكَفٍّ خَصِيبِ

ثم التفت إليه و قال : و الله لا يأتي بمثلها خطيب مصقع فكيف ذلك؟[1]

وقد كان هذا حال الشعراء ، فتحدهم متمكنين قي قول الشعر ارتجالا لا مثبتين به قدرتهم و تميزهم عن باق الشعراء .

ومن أمثلة البديهة بديهة الجماز، وقالوا أجتمع الشعراء بباب الرشيد، فإذن لهم، فقال من يجيز هذا القسم و له حكمه ؟ فقالوا: و ما هو يا أمير المؤمنين ؟ فقال: الملك لله وحده

فقال الجماز: و للخليفة بعده

و للمحب إذا ما حبيبه بات عنده .

فقال: أحسنت و أتيت على ما في نفسي و أمر له بعشرة آلاف درهم[2].

ومن عجيب ما روي في البديهة حكاية أبي تمام حين أنشد أحمد بن المعتصم بحضرة أبي يوسف يعقوب بن اسحاق بن الصباح الكندي وهو فيلسوف العرب .

إقدام عُمَرُو فِي سَمَاحَةِ حَاتِمِ فِي حَلَمِ أَحنفَ فِي ذُكاءِ إياس

فقال له الكندي ما صنعت شيئا : شبهت ابن أمير المؤمنين وولي عهد المسلمين بصعاليك العرب! و من هؤلاء الذين ذكرت؟ و ما قدرهم ؟ فأطرق أبو تمام يسير و قال :

لَا تَنَكَّرُوا ضَرِبَي لَهُ مِنْ دونِهُ مَثَّلَا شُرُورَا فِي النَّدَى و البَاسِ
فَاللهَ قَدْ ضَرَّبَ الأقل لِنُورِهِ مَثَّلَا مِنْ الْمِشْكَاةِ و البِنْرَاسِ 3

فهذا أيضا وماشاكله هو البديهة؛ أي يستجيب في ذلك إلى حالته النفسية و الفكرية فالشاعر يعبر عن حالته تلك بالشعر، فهو خاضع لإستلهاماته مدرك أن عليه أن يحكم بناءه ، وأن يأتي بتعبير فني جميل بسرعة و بيسر؛ أي ليس فيها توقف وفتور، وشعر الارتجال

[1] -المرجع نفسه ، ص191 .
[2] -المرجع نفسه ، ص 192 .
[3]– ابن رشيق القيرواني ، العمدة في محاسن الشعر و آدابه و نقده ، **مرجعسابق، ص** 192 .

هو أيضا انفعال و تفاعل الشاعر بالحدث و الموضوع لينتج إبداعا شعريا يصور مقدرة الشاعر على ابتكار الأشعار في لحظات و ليست أي أشعار، إنما تنم عن إبداع الشاعر و على هذا الأساس جعل ابن رشيق البديهة و الارتجال من أسس الإبداع الشعري .

ج- الإدراك الحسي

إن ابن رشيق لم يتحدث عن هذا الجانب بشكل واضح و صريح و لكن يمكن أن نستخلص ذلك من بعض أقواله و تعليقاته التي أوردها في كتاب العمدة .

إن الشاعر له علاقة بالمحيط الخارجي الذي يعيش فيه، وهذا المحيط يتصل به عن طريق الحواس التي يولد وهو مزود بها، وهذه الحواس تعد عاملا رئيسيا في انفعاله و احتكاكه بالعالم الحي الذي له أهمية في العملية الإبداعية، وبخاصة أن هناك من يرى أن الحواس لها دور فعال في إكتساب المعرفة، فهي التي تعلم الإنسان فلو لم تكن له حواس لما أمكنه أن يتعلم شيئا، لأن ما لا تدركه الحواس لا تتخيله الأوهام، فالحواس لها أهمية كبرى في عملية الإبداع، فالإنسان إذا فقد حاسة من الحواس يتعذر عليه تخيل المحسوسات فمثلا كل إنسان أو حيوان فقد حاسة البصر لا يمكنه أن يتخل الألوان، وإذا فقد حاسة السمع لا يمكن أن يتخيل الأصوات و لا يتوهمها، لأن التخيل للأشياء تابع للإدراك الحسي[1].

ويتضح من هذا أن المخلية من الصعب عليها أن تقوم بوظيفتها الإبداعية دون الاستناد والاعتماد على الصور التي تقدمها إليها الحواس الخارجية، فالمبدع أثناء الإبداع يسترجع من ذاكرته كل الصور و الأصوات التي نقلت إليه بواسطة الحواس فهناك قوة إدراكية تساعده على استرجاع ما تلقاه سابقات من العالم الخارجي عن طريق الحواس[2].

فابن رشيق قد أدرك أهمية هذه الحواس في العملية الشعرية و يتضح ذلك في سياق حديثه عن موضوع الوصف يقول: «و أحسن الوصف ما نعت به الشيء حتى يكاد يمثله عيانا للسامع »[3] .

---

[1] –أحمد بن عبد الله، إخوان الصفا و خلان الوفا، مطبعة تحية الأخبار، بهنيدى بازرا،د.ط، 1305 ج2،ص 265 .

[2]– ابن رشيق القيرواني ، العمدة في محاسن الشعر و آدابه و نقده ، ج2 ، ص 294 .

[3]– المرجع السابق،ص236 .

يتضح من هذا النص أن يلح على مدركات حاسة البصر، وبخاصة هناك من يقدم البصر على باقي الحواس، ويضيف أيضا بقوله:«وصفة الإنسان ما رأى يكون لا شك أصوب من صفته ما لم ير، و تشبيهه ما عاين بما عاين أفضل من تشبيه ما أبصر بما لم يبصر»[1].

إن الحواس كما يرى ابن رشيق لها مكانة خاصة في عملية الإبداع الشعري فما تقع عليه الحواس أوضح مما لا تقع عليه؛ لذلك ربط القدماء جودة الصورة في العمل الشعري بإخراج الأغمض إلى الأوضح و يقول ابن رشيق في شأن الاستعارة و التشبيه أنهما «يخرجان الأغمض إلى الأوضح و يقربان البعيد...»[2].

و يرى أيضا أن الشاعر عليه أن يبتعد عن وصف الموضوعات التي لا يعرفها عيانا ويتضح هذا عندما عاب على أبي نواس وصفه للأسد حيث أخطأ عندما جعل عينيه بارزتين و يرى انه من الأفضل أن يصفهما كما هما في الواقع غائرتين، يقول: «ألا ترى إلى أبي نواس وهو مقدم المحدثين لما وصف الأسد و ليس من معارفه و لعله ما شاهده قط، إلا مرة في العمر إن كان شاهده دخل عليه الوهم فجعل عينيه بارزتين و شبههما بعيون المخنوق و قام عنده أن هذا أشنع و أشبه بشتامة وجه الأسد »[3].

يتضح مما سبق ان ابن رشيق يقر بأن الحواس لها دور فعال في العملية الشعرية فهي تساعد المبدع على إصابة الحقيقة أو الاقتراب منها، لذلك فالحواس لها أهمية كبرى في الإبداع الشعري بصفة خاصة و الأدبي بصفة عامة، وهي أسس فطرية يولد الإنسان وهو مزود بها.

د- تخير أوقات و أماكن قول الشعر

لقد تفطن ابن رشيق إلى هذه القضية و أقر بوجود بواعث ودواعي تساعد الشاعر على الإبداع والتركيز، ومن خلال النصوص الواردة في العمدة نستطيع القول أن ابن رشيق تحدث عن حالة الشاعر الداخلية و عن تخير الشاعر لأوقات و أماكن تساعده على التعبير عما يختلج صدره و هذه البواعث تختلف من شاعر إلى آخر و يتضح هذا من قول ابن رشيق«إن للناس ضروبا مختلفة يستدعون بها الشعر، فتشحذ القرائح و تنبه الخواطر و تلين

[1]- ابن رشيق القيرواني ، العمدة في محاسن الشعر و آدابه و نقده ، ص 236 .

[2] -المرجع السابق، ج1 ، ص 287 .

[3]- المرجع نفسه ، ج2 ، ص 236 .

عريكة الكلام و تسهل طريق المعنى، كل امرئ على تركيب طبعه وإطراد عادته»[1]؛ أي أن للشعر بواعث داخلية لا يمكن أن يصدر بدونها و هي بمثابة استعدادات نفسية و المتمثلة في العواطف المختلفة و بخاصة أن العاطفة «تنظيم وجداني مركب من عدة استعدادات انفعالية»[2] و التي يمكن أن تسهم في بلورة العمل الشعري و إخراجه إلى النور

ومن العواطف التي يمكن أن تسهم في إخراج مواهب المبدع حسب ابن رشيق عواطف الغضب و الرهبة و الرغبة ، فيقول «... فمن الرغبة يكون المدح و الشكر و مع الرهبة يكون الاعتذار والاستعطاف، ومع الطرب يكون الشوق ورقة النسيب، ومع الغضب يكون الهجاء و التوعد والعتاب و الموجع»[3]، فهذه الحالات النفسية لها دور كبير في العملية الشعرية و بخاصة ان الشعر فيض تلقائي لمشاعر قوية يتخذ الشاعر أصوله من العواطف.

الداخلية وهذه العواطف تحدث عنها من قبل ابن قتيبة حين قال: «وللشعر دواع تحث البطيء وتبعث المتكلف ومنها الطمع، ومنها الشوق، ومنها الشراب ومنها الطرب و منها الغضب»[4].

ويتبين من هذا أن التوترات النفسية تدفع الشاعر إلى نظم الشعر و نجد هذا الذي كثير من الشعراء، فدعبل بن علي الخزاعي يقول:«ومن أراء المديح فالبرغبة، و من أراد الهجاء فالبغضاء، و من أراد التشبيب فالشوق والعشق و من أراد المعاتبة فبالاستبطاء»[5].

ويتضح من هذه الآراء التي أوردها ابن رشيق أن الحالة النفسية للشاعر مهمة جدا في العملية الإبداعية كما أن طبيعة المكان لها دور فعال في حياة المبدع فكل مبدع له شخصية متميزة و قد يحبذ أشياء وأماكن لا يحبذها مبدع آخر لذلك نجد كل مبدع يختار المكان يوفر له الراحة النفسية ويساعده على تفجير طاقته الإبداعية، و ابن رشيق قد أشار إلى هذا الجانب، و تحدث عن بعض الشعراء و الأماكن التي يحبذونها و التي من شأنها أن تحفزهم على القول الشعري ومنهم كثير عزة الذي سئل «كيف تصنع إذا عسر عليك الشعر؟ قال

---

[1] – ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وأدبه ونقده ، ص 205 .

[2] –شكرى عزيز ماضي، المحاضرات في نظرية الأدب ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر بيروت لبنان، ط1، 2005م، ص 115 .

[3]– المرجع السابق ، ص 120 .

[4] – ابن قتيبة ، الشعر و الشعراء ، ج1 ، 78 .

[5] –المرجع السابق ، ص 122 .

أطوف في الرباع المحيلة و الرباع المعشبة فيسهل علي أرصنه ويسرع إلي أحسنه»[1]، وقيل أيضا أن الفرزدق إذا صعب عليه قول الشعر يركب الناقة و يطوف منفردا في شعاب الجبال و يطوف الأماكن الخربة الخالية[2].

حكي أيضا عن الأصمعي انه قال:«ما استدعى شارد بمثل الماء الجاري ... و المكان الخالي»[3].

إن ابن رشيق من خلال هذه النصوص أراد أن يبين أن لكل شاعر تركيبته الخاصة و طبعه المميز لذلك فنوعية المكان تختلف من شاعر لأخر .

يتضح من كل ما سبق أن ابن رشيق ربط المكان و القدرة على الإبداع فرأى أن المكان يساعد و يدفع الشاعر على قول الشعر، فتحدث عن تجربة الإبداع الفني عند أكثر من شاعر فنوعية المكان عنده تسهم في تصفية الذهن و الخواطر و يتضح هذا من قوله:«وحدثني بعضد أصحابنا من أهل المهدية و قد مررنا بموضع بها يعرف بالكدية هو أشرفها أرض وهواءا قال: جئت هذا الموضع مرة فإذا عبد الكريم على سطح برج هنا لك ... فقلت أيا محمد قال : نعم، قلت ما تصنع هاهنا ؟ قال: ألقح خاطري و أجلو ناظري، قلت: فهل نتج لك شيء ؟ قال ما تقر به عيني و عينك ... و أنشدني شعرا يدخل مسام القلوب رقة»[4]، فالمكان حسب ابن رشيق يؤثر على نفسية الشاعر و يسهم في إخراج إبداعه في أبهى صورة .

أما عن الزمن فيرى ابن رشيق أن كل شاعر يحبذ زمنا معينا يفجر فيه طاقاته الإبداعية و قد أورد في هذا الموضوع قولا لابن قتيبة، يقول:«و للشاعر أوقات يسرع فيها أتيُّه، ويسمح فيها أبيُّه منها أول الليل قبل أن تغشى الكرى، ومنها صدر النهار قبل الغداء، و منها يوم شرب الدواء و منها الخلوة في الحبس و المسير»[5] أي أن لكل شاعر زمن معين معين يحفزه على قول الشعر لذلك تختلف أشعار الشاعر كما أورد ابن رشيق أيضا أن بشر بن المعتمر الذي هو الأخر تحدث عن أحسن وقت للإبداع يقول:«خذ من نفسك ساعة

---

[1]- ابن رشيق القيرواني ، العمدة في محاسن الشعر و آدابه و نقده ، ص 206 .

[2]- المرجع السابق ، ص 207 .

[3] -المرجع نفسه ، ص 206 .

[4]– المرجع نفسه ، ص 206،207 .

[5] –المرجع نفسه ، ص 208 .

فراغك و فراغ بالك، وإجابتها إياك فإن قلبك تلك الساعة أكرم جوهرا و أشرق حسا وأحسن في الأسماع و أحلى في الصدور وأسلم من فاحش الخطأ وأجلب لكل عين وعزة من لفظ شريف و معنى بديع ... »[1].

كما أورد أيضا وصية أبي تمام للبحترى التي قال فيها:«يا أبا عبادة تخير الأوقات وأنت قليل الهموم صفر من الغموم، واعلم أن العادة في الأوقات أن يقصد لتأليف شيء أو حفظه في وقت السحر و ذلك أن النفس قد أخذت حظها من الراحة و قسطها من النوم ...»[2].

فالزمن حسب ابن رشيق مهم في العملية الإبداعية فلكل شاعر زمنا خاصا به يحرك مواهبه و يحفزها على الإبداع الشعري .

وبعد أن ذكر ابن رشيق مختلف الآراء التي تحدثت عن أهم دواعي الشعر يقدم لنا رأيه في هذه القضية بقوله:« و مما يجمع الفكرة من طريق الفلسفة استلقاء الرجل على ظهره وعلى كل حال فليس يفتح مقفل بحار الخواطر مثل مباكرة العمل بالأسحار عند هبوب النوم؛ لكون النفس مجتمعة لم يفترق حسها في أسباب اللهو و المعيشة أو غير ذلك مما يعينها، وإذ هي مستريحة جديدة كأنها أنشأت نشأة أخرى؛ ولأن السحر ألطف هواء... وأعدل ميزانا بين الليل و النهار، وإنما لم يكن العشيُّ كالسحر... لأن النفس فيه كالة من تعب النهار ... فالسحر أحسن لمن أراد أن يصنع...»[3].

يتضح من هذا النص أن ابن رشيق يحبذ وقت السحر للإبداع الشعري و ينصح به المبدعين لأنه وقت تكون فيه النفس مرتاحة و غير مالة، فهي أنسب زمن لقول الشعر.

2/- الأسس المكتسبة

لقد أقر ابن رشيق بأهمية الطبع في العملية الإبداعية، ولكنه يرى ضرورة تقويمه؛ لأن الشاعر«الشاعر إذا كان مطبوعا لا علم له، ولا رواية ضل و اهتدى من حيث لا يعلم وربما طلب المعنى فلم يصل إليه، و هو ماثل بين يديه لضعف آليته كالمقعد يجد في نفسه القوة على النهوض فلا تعينه الآلة»[4].

---

[1] -المرجع نفسه ، ص 212 .

[2]- ابن رشيق القيرواني ، العمدة في محاسن الشعر و أدابه و نقده ، ج2،ص 214 .

[3]- المرجع السابق، ص 207 .

[4]-المرجع نفسه ، ص 197 .

يتضح من هذا النص أن ابن رشيق يرى أن الطبع وحده غير كاف لنظم الشعر؛ بل هناك عوامل أخرى تسهم في بلورة هذا الإبداع الشعري و إخراجه إلى النور و يفهم من كلامه أن حذق المبدع لا يمكن أن يتحقق بدون هذه العوامل .

وعلى هذا الأساس فإن ابن رشيق يتفق مع جل النقاد القدامى الذين تحدثوا عن آليات الإبداع، و أقروا أن الإبداع الشعري لا يستقيم أمره إلاّ بأسس بعضها فطري و بعضها الآخر مكتسب و الأسس المكتسبة عند ابن رشيق تتمثل في الرواية و العلم و الثقافة والدربة ومتى اجتمعت هذه الأدوات استطاع الشاعر أن يبلغ مرتبة الإجادة في الفن الشعري .[1]

أ- الرواية

إن ابن رشيق قدّم الرواية في العمل الإبداعي الشعري؛ لأنها تعد العصب فيه فهي بمثابة المحك للطبع؛ لأن رواية الأشعار تقوي الطبع و توجهه، و تطلعه على مسالك الشعراء و مذاهبهم و تصرفهم في الكلام فيقتضي بمناهجهم و يسلك طريقهم حتى تستقيم موهبته، و قديما جعلت الرواية شرطا من شروط الفحولة .

والرواية يعتمد عليها أيضا في تفضيل شاعر على شاعر آخر ويتضح ذلك من قول ابن رشيق «فقد وجدنا الشاعر من المطبوعين المتقدمين يفضل أصحابه برواية الشعر ومعرفة الأخبار و التلمذة بمن فوقه من الشعراء فيقولون : فلان شاعر رواية، يريدون أنّه إذا كان راوية عرف المقاصد و سهل عليه مأخذ الكلام و لم يقض به المذهب و إذا كان مطبوعا لا علم له و لا رواية ضل»[2].

إن الرواية حسب هذا القول هي المصباح الذي ينير الدرب للمبدع و يسهل عليه عملية الإبداع، و يدعم أيضا رأيه بقول الأصمعي: «لا يصير الشاعر في قريض الشعر فحلا حتى يروي أشعار العرب و يسمع الأخبار ويعرف المعاني، وتدور في مسامعه الألفاظ»[3].

نستشف من كلام ابن رشيق أن رواية الشعر، و الأخبار من أوثق آلات الشاعر فهي تمثل مرحلة مهمة في حياته، حيث يتم من خلالها شحذ طبعه، و تهذيبه و توجيهه، فقد كان

---

[1] – ابن رشيق القيرواني ، العمدة في محاسن الشعر و آدابه و نقده ، ص 121 .

[2]–المرجع السابق ، ص 197 .

[3]–المرجع نفسه ، ص 197

الفرزدق – على فضله في هذه الصناعة – يروي للخطيئة كثيرا و كان الخطيئة راوية زهير و كان زهير راوية لأوس بن حجر ...[1].

يتضح من تصريح ابن رشيق أن فحول الشعراء قد لزموا في حياتهم شعراء آخرين و أخذوا عنهم و حفظوا شعرهم و رووه، و هذا قد أسهم في حذقهم و إتقانهم للصناعة فالرواية جدّ مهمة في حياة الشاعر فإذا تخلّى عنها يأتي إبداعه الشعري ناقص لافتقاره إلى الخبرة الجمالية التي تبصره بمسالك الإبداع ودروبه وتسهل عليه القول في الموضوعات التي يُؤهله إليها طبعه.

كما نصح ابن رشيق المبدعين أيضا برواية أشعار المولدين لما فيها من حلاوة اللفظ وقرب المأخذ و إشارات الملمح و وجوه البديع الذي مثله في شعر المتقدمين قليل، فرواية شعر المتقدم يساعد المبدع على اكتساب الفصاحة، و رواية شعر المتأخرين يكتسب الحلاوة و بذلك يشتد عوده[2].

يتضح لنا أن ابن رشيق يشترط على المبدع كثرة الرواية و تنوّعها، فهي تسهم في تأصل الطبع و تقويته في العملية الشعرية .

ب- العلم والثقافة

إن ابن رشيق يشترط على المبدع كثرة الرواية و تنوعها، فهي تسهم في تأصل الطبع وتقويته في العملية الشعرية، و الرواية حسبه وحدها لا تكفي لتكوين المبدع، بل لابد من العلم و الثقافة، فالشاعر عنده مطالب بكل علم من نحو و فقه و حساب و خبر وفريضة ومعرفة النسب و أيام العرب و حكمها و أمثالها؛ أي الإلمام بالمعارف على اختلاف أنواعها حيث يقول :«فالشاعر مأخوذ بكل علم، مطلوب بكل مكرمة لاتساع الشعر واحتماله كل ما حمل: من نحو، ولغة، وفقه، وخبر، و حساب، وفريضة، ... وفقط الشعر والخبر، ومعرفة النسب، وأيام العرب، ليستعمل بعض ذلك فيما يريده من ذكر الآثار، و ضرب الأمثال، ليعلق بنفسه بعض أنفاسهم و يقوى بقوة طباعهم»[3] .

---

[1]- ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وأدبه ونقده ، ص: 198 .

[2]- المرجع السابق ، ص 198.

[3] -المرجع نفسه ، ص 196 ، 197 .

فابن رشيق يلح على الشاعر ان يكون ملما بكل المعارف بمختلف أنواعها ليستفيد منها في صناعة الشعر، فالشاعر لا يمكن أن يكون جاهلا ضيق الأفق، لأن «الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أعلم منه»[1] لهذا ينبغي على الشاعر معرفة ثقافة عصره وتنوعاتها فضلا عن المورث القديم، فالمبدع لا يكتفي بالثقافة التي يحصلها عن طريق الرواية إنما عليه ان يطلع على جميع علوم العرب و معارفهم .

يتضح من هذا أن ابن رشيق يلح على إطار ثقافي ذو طابع موسوعي؛ فهو لم يطالب المبدع بحفظ الشعر و روايته ورواية الأخبار؛ إنما عليه أيضا أن يستوعب ثقافة العصر في شمولها و تنوعها إضافة إلى المورث الأدبي القديم، وبناء على ذلك أصبح الشاعر مأخوذا بكل علم و هذا ما أشار إليه من قبل الجاحظ و ابن قتيبة، و ابن رشيق يحبذ أن يزاوج الشاعر بين الثقافة القديمة و الثقافة الحديثة؛ أي عليه أن يحيط بمعارف العرب القديمة و كذلك ما يخص شعر المولودين .

ج- الدربة و المران

إن الشعر أحد علوم العرب الذي لا بد أن يتوفر فيه الطبع و الرواية والثقافة والعلم فإن الدربة مادة له قوة لكل واحد من أسبابه، وهذا ما أقر به ابن رشيق حيث يرى أن الطبع وحده لا يكفى ولا الرواية ولا العلم، إنما يجب أن يدعَّم كل هذا بالدربة والمران حيث جعل بن رشيق الدربة حدا من حدود الشعر حيث يقول: « البيت من الشعر كالبيت من الأبنية قراره الطبع و سمكه الرواية ودعائمه العلم وبابه الدربة»[2] وأيضا استشهد ابن رشيق القاضي الجرجاني في هذه القضية حيث يقول: «الشعر علم من علوم العرب تشترك فيه الطبع و الرواية والذكاء ثم تكون الدربة مادة له، وقوة لكل واحد من أسبابه»[3].

فالدربة تمكن الشاعر من ترتيب و تنظيم ما حصله من علم وثقافة فهي مرحلة مهمة في حياة الشاعر فهذا الأخير لا يمكن أن يصل إلى مرحلة النضج و النجاح في أعماله إلا بعد التمرن على الإيداع، لأن المبدع في أول مراحله تعلمه لا يمكن أن يفرض نفسه في ميدان الإبداع، و يحقق نجاحا مهما أوتي من ثقافة إذ لابد له من التمرن على الإبداع و محاكاة

[1]- ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وأدبه ونقده ، ص 27 .

[2]- المرجع السابق ، ص 121 .

[3] - المرجع نفسه، ص ن .

الأعمال الفنية الرفيعة فأحيانا يعارضها و أحيانا ينسج على منوالها حتى تتكون شخصيته وتظهر مقدرته الإبداعية.

و نستشف من هذا أن الدربة مرحلة مهمة في حياة الشاعر تمكنه من تنظيم و ترتيب ما اكتسبه من علم و ثقافة لينتج في الأخير إبداعا شعريا مكتملا .

كما أشار ابن رشيق إلى ضرورة مراعاة حال ومقام المخاطبين الذين يوجه إليهم العمل الشعري يقول: «لكل مقام مقال، و يشعر الشاعر بنفسه و في مراده أمور ذاته –من مزح وغزل و مكاتبة، و مجون،و خمرية، وما أشبه ذلك– غير شعره في قصائد الحفل التي يقوم بها بين السماطين: يقبل منه في تلك الطرائق عفو كلامه، و ما لم يتكلف له بالا ولا ألقابه ولا يقبل منه هذه إلا ما كان محككا معاودا فيه النظر جيدا لا غث فيه، و لا ساقط، و لا قلق، و شعره للأمير و القائد غير شعره للوزير و الكاتب و مخاطبته للقضاة و الفقهاء بخلاف ما تقدم من هذه الأنواع ... » [1].

فالشاعر الفطن الحاذق حسب ابن رشيق يجب أن يختار للأوقات ما يشاكلها و ينظر في أحوال المخاطبين فيقصد محابهم و يتفقد ما يكرهونه و يتجنبه[2].

وعلى هذا الأساس تأخذ قضية المقام والحال مكانة هامة في قضية الإبداع الشعري وهذا ما يتضح من كلام ابن رشيق فهو يقر بضرورة مراعاة مقام وحال المخاطبين الذين يوجه إليهم العمل الشعري، فمثلا أفضل«ما يمدح به القائد الجود و الشجاعة، وما تفرع عنهما نحو التخرق في الهيئات و الإفراط في النجدة، وسرعة البطش وما شاكل ذلك ويمدح القاضي أيضا بما ناسب العدل و الإنصاف و الأخذ للضعيف من القوي والمساواة بين الفقير والغني »[3] .

أشار أيضا ابن رشيق إلى ضرورة مراعاة الحالة النفسية للمخاطبين، و يتضح هذا من ذكره لقصة سليمان بن عبد المالك الذي خرج من الحمام، يريد الصلاة ، ونظر في المرأة فأعجبه جماله، وكان حسن الوجه، فالتقى بإحدى حظاياه فقال لها : كيف ترينيي؟ :

ليس فيما بدى لنا منك عَيْبٌ عَابَهُ النَاسُ غَيرَ أَنَكَ فَانِي

1– ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر و آدابه و نقده،ص199.

2– المرجع السابق، ص 223 .

3–المرجع نفسه ، ص 135 .

أنت نعم المَتاع لو كنت تَبقى غَيرَ أن لبقاء للإنسانِ [1]

فتطير بها الخليفة ورجع، وأصيب بالحمى فمبات إلا ميتا تلك الليلة[2] يتبين من هذا الموقف أن مراعاة الحالة النفسية للمتلقي شيء لابد منه في العملية الشعرية، فالشاعر عليه أن يختار ما يناسب حال و مقام المتلقي حتى لا يعاب عليه ما يذكره .

ونفهم من كل ما تحدث عنه ابن رشيق أن الشاعر لا يمكن ان يسمى شاعرا إذا لم يتوفر لديه فطريا الطبع الشعري، لان هذا الفني يصدر عن ميول نفسية ودوافع ذاتية ولابد له بعد ذلك من اكتساب العلم و الممارسة و التجربة و غعادة النظر في عملية الشعري حتى يحقق الإجادة في عمله الإبداعي، و الصنعة الغالبة على شعر العبيد تبين مدى تضافر الأسس الفطرية و المكتسبة حتى جاءت صوره أكثر عمقا و أجمع لعناصر الصورة المتباعدة[3].

نستشف من ذلك أن العملية الإبداعية عند ابن رشيق تقوم على أسس فطرية وأخرى مكتسبة، فالأسس الفطرية عنده تتمثل في الطبع أو الموهبة التي تساعد المبدع على تحقيق الاستواء في نسيج عمله الشعري و اكتمال جمالياته بالإضافة إلى الحواس التي تلعب دورا فعالا في العملية الشعرية، فما تقع عليه الحواس أوضح مما لا تقع عليه وبالتالي فهي تساعد المبدع نفسيته حيث تعد الحافز الذي يدغدغ عواطف الشاعر ويدفعه إلى التعبير عما يختلج في صدوره، غير أنه أدرك أن الطبع وحده لا يكفي لنظم الشعر بل لابد له من آليات أخرى تساعده في عمله، وتتمثل في الأسس المكتسبة منها الرواية والعلم و الثقافة و الدربة فإذا اجتمعت هذه الأدوات للشاعر استطاع أن يبلغ مبلغ الإجادة في الخطاب الشعري .

[1] –ابن قتيبة الشعر و الشعراء ، ج2 ، ص 577 .

[2] – ابن رشيق القيرواني ، العمدة في محاسن الشعر و آدابه ونقده ،ج2 ص 136 .

[3] زكرياء صيام ، دراسة في الشعر الجاهلي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، ط2، 1993م .

خاتمة

خـاتمـة

وبعد هذه الجولة في كتاب العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده لابن رشيق والتي حاولنا من خلالها إظهار إسهامات وآراء هذا الناقد في مجال نقد الشعر ولسنا نزعم أننا أتينا على كل ما يمكن أن يقال في هذا الموضوع والذي جعلنا أفاقه تتسع أمامنا كلما تقدمنا في هذه الدراسة وأوغلنا فيها وأهم ما هدتنا إليه هذه الدراسة المتواضعة هي النتائج التي توصلنا إليها منها مايلي:

– لقد عرف ابن رشيق كيف يستنطق النصوص الفنية لتجود بأفضل ما فيها مستعينا في ذلك بذوقه الفني وخبرته الأدبية، فضلا عن ثقافته الموسوعية ممثلة فيما يمتلكه من ثروة لغوية وشعرية ومستندا في إصدار أحكامه إلى معايير موضوعية تنبع من النص نفسه وفق المنهج التحليلي جاعلا شعاره في التعامل مع النصوص، الانطلاق من النص للوصول إلى القاعدة.

– اتفق ابن رشيق مع النقاد السابقين على أن الشعر كلام موزون ومقفى وأضاف إلى ذلك عنصر النية في تعريفه للشعر، فقد جاء بعد ملاحظته لكثير من الآيات الموزونة المقفاة التي تدخل في باب الشعر فاشترط ابن رشيق النية والقصد في ذلك.

– أما الإبداع عند ابن رشيق يعني الاتيان بالشيء الجديد الذي لم يسبق إليه، إلا أنه خص الإبداع باللفظ، والاختراع بالمعنى، أما التوليد فهو النسيج على منوال سابق.

– العملية الإبداعية عند ابن رشيق تقوم على أسس فطرية وأخرى مكتسبة، فالأسس الفطرية عنده تتمثل في الطبع أو الموهبة التي تساعد المبدع على تحقيق الاستواء في نسيج عمله الشعري وإكمال جمالياته بالإضافة إلى الحواس التي تلعب دورا فعالا في العملية الشعرية فهي تساعد المبدع على إصابة الحقيقة.

– أضاف ابن رشيق إلى الأسس الفطرية تخير أوقات وأماكن قول الشعر فهي تساعد الشاعر على الإبداع والتركيز.

– بالإضافة إلى عوامل مكتسبة تتدخل في تكوين شخصية المبدع والتي تتمثل في الدربة والرواية والعلم والثقافة التي تعمل على صقل الجانب اللغوي والأسلوبي إذا اجتمعت هذه الأدوات لدى الشاعر.

قائمة المراجع

قائمة المصادر والمراجع

1.إبراهيم فتحي،معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة،التعاصدية العمالية للطباعة و النشر تونس،1986 م.

2.ابن الأثير، المثل السائر، تح محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة المصرية، بيروت، لبنان، د.ط، 1995م، ج1.

3.ابن خلدون، المقدمة،دار الرافد العربي، بيروت،لبنان،ط2، 1982 م.

4.ابن رشيق القيرواني،العمدة في محاسن الشعر،وأدابه ونقده تح محمد محي الدين عبد الحميد، الجزائر،ط3 ،2007.

5.ابن طباطبا العلوي،عيارالشعر،تح عباس عبد الستار،دار الكتب العلمية، بيروت،لبنان،ط1982،1.

6.ابن قتيبة، الشعر والشعراء، تح أحمد محمد شاكر،دار المعارف، القاهرة، مصر، ج1،دط،دت.

7.ابن منظور، لسان العرب المحيط، تقديم عبد الله العلايلي، أعاد بناءه يوسف خياط، دار الجيل، دار لسان العرب، بيروت، لبنان، د.ط، 1988م.

8.أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين،تح عبد السلام محمد هارون،مكتبة الخانجي للطباعة و النشر و التوزيع،القاهرة،مصر ،د.ط،1998 م .

9.أحمد أمين،النقد الأدبي،المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية،الرغاية،الجزائر، 2007 م.

10. أحمد بن عبد الله ، إخوان الصفا و خلان الوفا ، مطبعة نخبة الأخبار ، بهنيدى بازرا 1305 هـ ج2.

11. بشير خلدون،الحركة النقدية على أيام ابن رشيق المسيلي،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر،د.ط،1981 م

12. توفيق الحكيم،زهرة العمر،مكتبة الآداب،القاهرة،مصر،ط2، 1994 م

13. الجاحظ، الحيوان، تم عبد السلام هارون، مطبعة مصطفى البياني الحلبي و أولاده، مصر،ط2، 1964م.

14. جبور عبد النور،المعجم الأدبي،دار العلم الملايين،بيروت،لبنان،ط 1979،1.

15. الجمحي محمد بن سلام،طبقات الشعراء اعداد اللجنة العلمية لنشر التراث،دار النهضة العربية،بيروت د ط،دت

16. ديوان امرئ القيس، ش عبد الرحمن المصطفاوي، دار المعرفة، بيروت لبنان ط2 2004 م

17. رينيه ويليك و أوستن وارين، نظرية الأدب، ترمحي الدين صبحي، مراجعة حسام الخطيب المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، بيروت، لبنان، ط2، 1981 م.

18. زكرياء صيام، دراسة في الشعر الجاهلي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2 1993م.

19. الزمحنشري جار الله أساس البلاغة، مكتبة لبنان ناشرون،بيروت، ط1 ،1996 م (مادة بدع).

20. سعيد حسون العنكبي،الشعر الجاهلي في تأويلاته النفسية و الفنية، منشورات دار دجلة،ط1، 2008م.

21. سعيد علوش،معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة عرض و تقديم و ترجمة،دار الكتاب اللبناني،بيروت،لبنان،د.ط، 1985م.

22. شكرى عزيز ماضى محاضرات في نظرية الأدب ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر بيروت لبنان، ط1 ، 2005م.

23. عبد الرزاق حميدة،شياطين الشعر،مكتبة الانجلو المصرية،65 شارع محمد فريد مصر،د.ط،د.ت.

24. عبد العزيز عتيق،في النقد الأدبي،دار النهضة العربية، بيروت، لبنان،ط2 ،1972م.

25. عبد القادر هني، نظرية الإبداع في النقد العربي القديم، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر،د.ط، 1999 م.

26. فضل بن عمار العميري،الإبداع في الشعر العربي القديم،كلية الأدب،جامعة الملك سعود الرياض،المملكة العربية،د.ط،1416هـ.

27. قاسم مومني،نقد الشعر في القرن الرابع الهجري،دار الثاقفة للطباعة و النشر،القاهرة مصر،د ط،1982م.

28. قدامة بن جعفر،نقد الشعر،تحقيق عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية،بيروت لبنان، دط، دت.

29. كامل محمد عويضة، ابن رشيق القيرواني الشاعر البليغ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط1، 1993.
30. محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث،دار العودة،بيروت،لبنان،ط1، 1982 م.
31. المرزوقي، مقدمة شرح ديوان الحماسة،تح أحمد أمين و عبد السلام هارون،دار الجيل،بيروت،لبنان،ط1، 1991 م، ج 1.
32. مصطفى درواش، خطاب الطبع و الصنعة، منشورات اتحاد العرب، دمشق، سوريا، دط، 2005م
33. مصطفى الصاوي الجويني، معالم في النقد الأدبي منشأة المعارف الاسكندرية مصر، د ط، دت.
34. مصطفى سويف،الاسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة،دار المعارف القاهرة،ط4،دت.
35. مصطفى سويف، الاسس النفسية للتكامل الاجتماعي، دار المعارف القاهرة دط 1944.
34.لعيب ويزة، كتاب العمدة في ضوء الدراسات النقدية الحديثة، مذكرة لنيل شهادة الماجيستر جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر، 2011م.

فهرس

فهـــرس

مقدمة..... أ
الفصل الأول: أسس الإبـداع الشعـري..... 05
المبحث الأول : التعريف بكتاب العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده..... 05
أ- لمحة عن الكتاب 05
ب- آراء بعض النقاد 06
ج-مصادر الكتاب..... 07
د-طبعات الكتاب..... 08
المبحث الثاني : الأسس النفسية و الاجتماعية للإبداع الشعري..... 10
أ- تعريف الشعر..... 10
ب- تعريف الإبداع..... 12
I- الأسس النفسيـة..... 13
1- الإلهـام..... 13
2- إكتساب الإطار..... 17
II- الأسس الاجتماعية..... 21
- العبقرية..... 21
الفصل الثاني: أسس الإبداع الشعري عند ابن رشيق..... 28
المبحث الأول : مدخل لأسس الإبداع الشعري في كتاب العمدة..... 28
1-مفهوم الإبداع الشعري عند بن رشيق..... 30
2-تقديم لأسس الإبداع عند بن رشيق..... 32
المبحث الثاني : أسس الإبداع الشعري..... 32
1-الأسس الفطرية..... 32

أ- الطبع..... 32
ب- البديهة و الارتجال..... 34
ج- الإدراك الحسي..... 37
د- تخير أوقات و أماكن قول الشعر..... 38
2- الأسس المكتسبة..... 42
أ- الرواية..... 42
ب- العلم والثقافة..... 43
ج- الدربة والمران..... 44
خاتمة
قائمة المراجع
فهرس